معهد الدراسات الدبلوماسية

تطور علاقة الاتحاد السوفيتي ببلدان أوروبا الشرقية منذ الحرب العالمية الثانية

السيد أمين شلبى

١٩٦٩

—

تطور علاقة الاتحاد السوفيتى بدول اوربا الشرقية

منذ الحرب الثانية

" دراسة تطبيقية "

عام :

رغم الخسائر المادية والبشرية الضخمة التى منى بها الاتحاد السوفيتى فى الحرب العالمية الثانية ، الا انه قد خرج منها بمكاسب كبيرة بالنسبة لمكانته ومركزه الدولى ، كان ابرزها بروزه كاحد القوتين الدوليتين الكبيرتين نتيجة لانهيار المانيا النازية فى اوربا واليابان فى آسيا وللضعف الذى لحق بنفوذ كل من انجلترا وفرنسا ، ومن هذه المكاسب الاقاليم الجديدة التى ضمها سواء باستعادته لتلك التى حصل عليها خلال حلفه القصير مع هتلر (١٩٣٩-١٩٤١) واقاليم اخرى فى آسيا واجزاء من المانيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا .

غير ان ما يوازى هذه المكاسب او ما زادها دعما وتأثيرا هو امتداد نفوذ الاتحاد السوفيتى وايدلوجيته الى بولندا والمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا والبانيا والمجر وبلغاريا ويوغوسلافيا حتى انشقاقها عام ١٩٤٨ .

وما يعنينا الان فى نطاق هذه الدراسة هو هذا العنصر الاخير عن مكاسب الاتحاد السوفيتى

من الحرب الثانية ونعنى به قيام نظم موالية له فى شرق اوربا تطبق فلسفته وايدلوجيتـــه فى الداخل ، وتتبع سلوكه ومواقفــه الدولية فى الخارج ، وما يعنينا بشكل اهم هو تتبع تطــور علاقته بهذه الدول فى مراحلها المختلفة حتى تطوراتها الراهنة ، وفى هذا سنبحث :ـ

١ـ فترة الحرب العالمية الثانية وخطة الاتحاد السوفيتى فى اقامة نظم اشتراكيـــة فى دول شرق اوربـا مع التطبيق على نموذجين همـا بولندا وتشـيكوسلوفاكيا •

٢ـ القلاقل التى تعرضت لها هذه النظم بعد مرحلة ستالين . وبشكل خاص فى المانيا الشرقية وبولندا والمجر (x)

٣ـ دراســة نموذجين عن العلاقات كان لهما وضعين متميزيــن ونعنى بهما علاقــة الاتحاد السوفيتى بكل من يوغوسلافيا ورومانيــا •

اولا : خطة الاتحاد السوفيتى فى اقامة نظم اشتراكية فى بلدان شرق اوربا خلال الحرب الثانية :

تميزت خطة الاتحاد السوفيتى تجاه دول شــرق اوربا ابان الحرب العالمية الثانية بثــلاث مراحل حاسمة تمثلت الاولى فى المرحلة المبكرة من الحرب حين نظم الاتحاد السوفيتى لجا ن التحرير القومى لكل دولة من دول شرق اوربا ، وقد ترأس كل لجنة واحد من ابناء هذه الــدول الذين لجأوا الى الاتحاد السوفيتى ، فترأس اللجنة الالمانية والتر اولبرخت ، والمجرية ماتيــاس راكوس ، والرومانية آنــا بوكــر ، والبلغارية جورج ديمــروف ، وقد نظمت هذه اللجان لكى تحقق

---

x ـ احداث تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ تمثل مرحلة متطورة عن هذه الفترة المبكرة التى نتعرض لها بالدراسة ، وقد افردنا لها دراسة خاصة (راجــع فى الازمة التشـيكوسلوفاكيــة) •

اهدافا اربعة : تجنيد ابناء من هذه الدول لخدمة العمليات الحربية يقيمون بالاتحاد السوفيتي كمركز ونقطة تجمع ضد الاحتلال النازى ، وان ينافسوا الحكومات البرجوازية فى المنفى والتى كان مقرها لندن • وتمثلت المرحلة الثانية فى هجوم دبلوماسى مركز وجه فى بدايته ضد الانجليز فى ديسمبر عام ١٩٤١ خلال محادثات ايدن ـ ستالين اعتراف بريطانيا بالحدود الروسية التى قامت عام ١٩٤١ ويعنى هذا الاعتراف ضم اجزاء من فنلندا ثم استونيا ولاتافيا وليثوانيا وشرق بولندا وباسابريا من رومانيا وبوكوفينا من تشيكوسلوفاكيا • وقد رفض ايدن هذه المطالب وكذا تشرشل خلال زيارته لموسكو فى اغسطس عام ١٩٤٢ ، وقد ايد الرسميين الامريكيين موقف الانجليز الذين رأوا ان جميع تسويات الحدود يجب ان تؤجل حتى نهاية الحرب ، غير انه فى عام ١٩٤٣ غير الامريكيين موقفهم وحدث هذا التغيير فى مؤتمر طهران ـ ديسمبر عام ١٩٤٣ ـ حيث ساند روزفلت ستالين ضد خطة تشرشل لغزو البلقان والتى كان تشرشل يهدف من ورائها قطع الطريق امام الاحتلال السوفيتى لاوربا الشرقية ويتوقف بعض الكتاب امام هذا الحدث باعتبار انه اذن بتقسيم اوربا الى معسكرين • وقد تبع هذا اعتراف الحلفاء بالحدود السوفيتية القائمة ، كما اعترفوا باستونيا ولاتافيا وليثوانيا كاجزاء من الاتحاد السوفيتى ، كما وافقوا على المطلب السوفيتى بما عرف فيما بعد بكالينجراد كميناء روسى على البلطيق ، وفى مايو عام ١٩٤٤ حصل السوفييت على موضع قدم آخر فى شرق اوربا حين قبل البريطانيين الاعتراف بالنفوذ السوفيتى فى رومانيا والمجر وبلغاريا ، وقد دعمت هذه المكاسب الدبلوماسية شروط حربية مع رومانيا وبلغاريا والمجر ومنحت هذه الشروط السلطات الروسية حقوق سياسية واقتصادية غير مقيدة فى انتظار توقيع معاهدات السلم ، ولم يكتفى مؤتمر يالتا باقرار هذه الحقوق فحسب بل اقر جميع القرارات

السابقـــة •

اما المرحلة الثالثة والحاسمة فقد اخذت شكل التفاوض مع الحكومات فى المنفى ، وسوف نستخدم فى هذا نموذجين هما حكومات بولندا وتشـيكوسلوفاكيا •

اما التفاوض مع التشيك فقد كان يسيرا حيث لم يكن هناك خلافات كبيرة بين البلدين ، بل على العكس فانه بسبب الخطر الالمانى فقد تكون لدى التشيك تعاطف نحو التجمع السلافى وقوى هذا التعاطف عرض الروس المساعدة خلال تفكك تشـيكوسلوفاكيا بعد عام ١٩٣٨ • وقد اعادت الحكومتان العلاقات الدبلوماسـية التى ظلت مقطوعة منذ عام ١٩٣١ وتعاهدا على الوقـــوف ضد النازية ، كما وافق السوفييت على تشكيل وحدات تشيكية حربية على الاراضى السوفيتيــــة وذلك بمعاهدة حربيـة خاصة فى سـبتمبر عام ١٩٤١ واعترفت الحكومة السوفيتية بهذه الاحـداث كجزء من الجيش التشيكى وان كانت قد احتفظت لنفسها بحقها بالموافقة على تعيين قياداتهـــا العسكرية العليا وان تشرف على الشئون الفنـية وشئون العمليات فيها • وفى نفس الوقـــت خطت الحكومة السوفيتية من جانبهـا خطوة اخرى من جانبها لجذب الحكومة التشـيكية اليها • ففى مايو ١٩٤٤ اعلن السوفييت استنكارهم لمعاهدة ميونخ وجميع ما ترتب عليها ودفع هذا العمل الانجليز والفرنسـيين — وهما الاطراف الاصليين فـى المعاهدة — الى ان يسلكوا هذا المسلك وفى ١٢ ديسمبر عام ١٩٤٣ وقـع السوفييت مع تشيكو سلوفاكيا معاهدة عشرينية الصداقـــــة والمساعدة المتبادلة لما بعد الحرب ، واعتبرت هذه المعاهدة كنموذج على تدعيم علاقات الصداقة بين الاتحاد السوفيتى ودول شرق اوربا • وعقب هذه المعاهدة بدأ التسلل التدريجى بواسطة اعضاء لجنة التحرير الوطنى التشـيك الى الحكومة التشـيكية ، حيث تولى بعضهم مناصب مراقبين غير رسـميين فى المجلس الوطنى التشـيكى فى لندن ولكن ما لبثوا ان تقلدوا مناصب وزراء أو

مستشارين واصبحوا بهذا الشكل عيون موسكو في هذا المجلس . وفي بداية عام ١٩٤٥ حين بدأت الحكومة التشيكية تستعد للعودة الى الوطن حصل اعضاء من لجنة التحرير الوطني على مناصب وزارية وهي المناصب التي اعتبرت ادوات رئيسية في سبيل الاستيلاء النهائي على السلطة وبشكل خاص مناصب وزراء الداخلية والاستعلامات والزراعة وكان هذا بداية عمليات تحول تشيكوسلوفاكيا تجاه الاشتراكية .

اما في بولندا فقد واجهت الخطة السوفيتية فيها عدة عقبات ، كان اولها المشكلة الاقليمية ، ففي خلال التحالف السوفيتي الهتلري القصير حصل السوفييت على ٧٦٥٠٠ ميل مربع من مناطق بولندا الشرقية التي ضمت في الحال الى الاتحاد السوفيتي ، وقد اصر القادة البولنديون في لندن على ان يتخلى الاتحاد السوفيتي عن هذه الاراضي ، ولكي يهدئ السوفييت من ثورة المشاعر ضدهم حول هذه النقطة اعلنوا بشكل عام سنة ١٩٤١ ان "المعاهدات السوفيتية الالمانية لعام ١٩٣٩ فيما يختص بالتغيرات الاقليمية في بولندا قد فقدت صلاحيتها " الا ان السوفيت ظلوا غير مرتبطين بالنسبة لمستقبل النهائي لهذه الاقاليم ، وظل الاتجاه السوفيتي غائماً هكذا حتى اصبح واضحا هزيمة الهتلرية وعندئذ اثار السوفييت الاعتبارات العنصرية والثقافية واللغوية والدينية التي تجعل من هذه المناطق جزء من الاتحاد السوفيتي غير ان الحكومة البولندية قابلت هذه الاعتبارات بالرفض مما جعل التعاون بين الطرفين مستحيلا .

كما ظهرت عقبة اخرى في سبيل التعاون كانت تتعلق بمسائل عسكرية ، فعقب الغزو الالماني للاتحاد السوفيتي وافقت الحكومة السوفيتية على تكوين قوات بولندية اعترف بها السوفييت كجزء من الجيش البولندي غير ان السوفييت بدلا من ان يجنبوا ٩٦٠٠٠ جندي كما وعدوا

جندوا ٤٤٫٠٠٠ فقط ٠

وتلى ذلك استفسار البولنديين عن بضع الاف من البولنديين المفقودين ورفض السوفييت التحقيق في هذا ، ويبدو ان السوفييت قد تيقنوا من عدم امكان التعاون مع الحكومة البولندية او ارضائها وتدهورت العلاقات بعد هذا حيث اتهم السوفييت الدبلوماسيين البولنديين بالتجسس لحساب القوى الغربية ٠

وقد شرع السوفييت بعد هذا التدهور في علاقاتهم مع بولندا في المنفى في تشكيل وحدات بولندية في نطاق الجيش الاحمر و اقاموا اتحاد الوطنيين البولنديين في موسكو واعلنوا انه المتحدث الحقيقي عن بولندا وانه هو الجهة التي سيتعاونون معها في كل ما يخص بولندا واكدوا هذا بقطعهم العلاقات مع حكومة بولندا في المنفى عام ١٩٤٣ ، وفي نفس الوقت اعلن الاتحاد الجديد في موسكو برنامجا لبولندا دعا الى اصلاحات اجتماعية واقتصادية شاملة واصر ان تكون حدود بولندا الشرقية معبرا واداة وصل وتعاون مع الاتحاد السوفيتي وليست عقبة امام هذا ٠

وكان هذا الاتحاد الجديد كون الحكومة المؤقتة لبولندا عقب تحريرها والتى اعترفت بهـا الحكومة السوفيتية في الحال — يناير ١٩٤٥ — وعقدت معها معاهدة للصداقة والتعاون لمدة عشرين عاما ، كما اعترفت القوى الغربية بهذه الحكومة الائتلافية رغم انه كان يتقلد ١٤ منصبا من مناصبها الـ ٢١ عناصر تلقت ترتيبها السياسى في الاتحاد السوفيتي ٠

من المهم بعد هذا السرد لمراحل اقامة انظمة اشتراكية في بلدان اوربا الاشتراكية ان نتعرف على بعض العناصر الاساسية التى ساعدت في هذا الاتجاه ٠

كان ابرز هذه العناصر وجود الجيش الاحمر الذى سهل كثيرا عمليات اقامة نظم اشـــتراكية بعد عام ١٩٤٥ ، فلم يكن الجيش الاحمر مجرد " محـــرر " فحسب بل كان ذا ثقل كبيـــر فى هذه البلدان وهو الثقل الذى وضعه بطبيعة الحال فى كفـــة العناصر الاشـــتراكية .

ومن العوامل الهامة ايضا القدرة التنظيمية الكبيرة للاحزاب والتنظيمات الشيوعية ومهـــــارة اساليبها السياسية ، فقد اتبعت هذه الاحزاب — كمرحلة اولى — اسلوب اقامة حكومـــــات ائتلافية ، عرفت فى يوغو ســلافيا والبانيا بجبهة التحرير الوطنى ، وفى بلغاريا بجبهة الوطنـــى وفى المجر بجبهة الاســـتقلال الوطنى ،وفى بولندا بالوحدة الوطنية ، وفى تشيكوسلوفاكيــــــا بالجبهـــة الوطنيـــة ، غير انه فى مراحل هذه الائتلافات كان الشـــيوعيين اقوى نفوذا بتوليهـم اكثر المناصب حساســـية كوزارة الداخلية والاستخبارات والدفاع ... الخ .

بالاضافة الى هذا دعم السوفييت وجودهم فى بلدان اوربا الشرقية من خلال نفاذهم الـــى اقتصاديات هذه البلدان والارتباطات التى اقاموها مع هذا الحقل الهام عن طريق الاتفاقيـــات التجارية المتبادلة والشـركات ونظام الشركات المختلطة مثل شركة الزيت الرومانية الســــوفيتية ، وشركة الملاحة للدانوب مع المجر ،والاســـتثمارات ، والقروض المالية ، رغم تولى عناصر ذات جنسيـه سوفيتية لمراكز رئيســية فى هذه البلدان كخبراء ومديرين ، وقد توجت هذه المبادلـــــات الاقتصادية حين اقام كل من الاتحاد السوفيتى وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ورومانيا وبولنـــدا مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة او مايعرف بخطة مولوتوف او الكوميكون .

وقد اكتمـــل الشـــكل والنمـــوذج السوفيتى للحكم فى بلدان اوربـــا الشرقية حيث اعلنـــت دساتير هذه الدول بعد اعوام ١٩٤٦ — ١٩٤٨ ، وكانت اهداف هذه الدســاتير واضحة ، فهى اعلان رسمى عن تصفية القوى السياسية المعارضة ، كما كانت اضفاء للطابع الشرعى عا ــــــــى

" الديموقراطيات الشعبية " لتشرع في تطبيق البرنامج الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الشيوعي حيث خول كل دستور الحكومة حق تصفية الملكية الخاصة واحتكار التجارة وتأميم الصناعة وجماعية الزراعة .

ثانيا : القلاقل التي واجهت النظم الشيوعية في المانيا الديموقراطية — بولندا — المجر :

لم يكن لموت ستالين تأثيره على الاوضاع وشكل الحكم وشخصياته وايذانا بمرحلة جديدة في اسلوب الحياة والتفكير في الاتحاد السوفيتي فحسب بل امتد ليشمل هذه التاثيرات داخل دول اوربا الشرقية وليمس نفوذ ومكانة الاتحاد السوفيتي في هذه الدول .

وقد كانت اكثر بلدان اوربا الشرقية تاثرا بالتغيير الداخلي في الاتحاد السوفيتي هي المانيا الشرقية بالقلاقل التي حدثت فيها في يونيو عام ١٩٥٣ ، وبولندا باضطرابات بوزنان نوفمبر ١٩٥٦ ، ثم ثورة المجر ١٩٥٦ .

ويجب ان نقرر بداءة ان هذه الاحداث لم تسفر عن تغيير ايجابي في مضمون العلاقة والروابط بين هذه البلدان والاتحاد السوفيتي ولكن تأثيرها كان في الهزة التي اصابت النظام داخل هذه البلدان ودفعها الى اعادة التفكير في حقيقة الاوضاع داخل مجتمعاتها من ناحية ، ومن ناحية اخرى وضعت هذه الاحداث خلفاء ستالين امام مرحلة جديدة مع هذه البلدان .

أ — المانيا الشرقية :

كانت المانيا الشرقية وستظل اكثر بلدان الكتلة السوفيتية اعتمادا وارتباطا بالاتحاد السوفيتي ، وقد حدث في ابريل عام ١٩٥٣ ان طلب الالمان الشرقيين معونة عاجلة من السوفييت كما طلبوا منهم ان يعيدوا النظر في سياستهم الاستثمارية في المانيا الشرقية .

وارتبط بهذا اعتراف النظام " بانحرافات الماضي " وبوعوده تخفيض الضرائب وتحسين المستويات المعيشية ، غير ان الاحداث اثبتت ان هذه الوعود لاتكفي ، ففي فبراير من ١٩٥٣ تظاهر عمال البناء في برلين الشرقية ضد زيادة ساعات العمل وطالبوا " بالمزيد بدلا من المدفوع " وقد انتشرت هذه الاحتجاجات السلمية عبر اركان برلين المانيا الشرقية عموما وصدرت عن المتظاهرين هتافات عدائية ضد النظام كما تحدوا قوات الامن التي استدعيت لتهدئتهم ، وقد شعرت سلطات المانيا الشرقية بعجزها عن ان تقيد النظام بجهودها الخاصة فطلبت مساعدة السلطات السوفيتية واستجاب الاتحاد السوفيتي في الحال وتدخلت قواته التي سحقت الحركة .

ونستطيع ان نخرج من هذه القلاقل التي واجهت النظام في المانيا الشرقية بدلالتين ، الاول انها كشفت عن عدم شعبية النظام ، والدلالة الثانية انها قد اعطت الاشارة الاولى بالحاجة لنظرة جديدة من جانب نظم الحكم الى واقع مجتمعاتها .

وكان التأثير العاجل لهذه القلاقل في المانيا الشرقية هو طرد كبار الموظفين الذين اهتزوا في وجه الازمة ، واعتراف النظام باخطائه في صياغة سياساته في الماضي وتخفيض الاستثمار في الصناعة الثقيلة ، وتخفيض ضرائب الدخول والاسعار والعفو عن بعض الجرائم واعادة ادارة المؤسسات التي كان يديرها السوفييت او الالمان ، وبطبيعة الحال لم يؤدي هذه التنازلات الى اضعاف قبضة النظام بل على العكس كان من نتيجتها خفض التوتر السياسي .

اما تأثير هذه القلاقل على الفكر السوفيتي تجاه نظم الحكم في شرق اوربا فقد احدثت فيه تاثيرا عميقا دفعته الى ان يطالب القيادات في المجر ورومانيا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا تبني اسلوب جديد يتلخص في القيادة الجماعية في شكل الحكم وتحسين مستويات المعيشة ونبذ الاساليب البوليسية والبيروقراطية في الداخل ، وزيادة الاجور وخفض الاسعار واعطاء مزيد

من العناية للزراعة وتشجيع المصررات الخاصة فى الانتاج الصغير.

غير ان هذا الاتجاه لم يعمر طويلا فقد استمر طالما كان ثمة اتجاه مماثل فى السياسة والمجتمع السوفيتى ، فنحن نعلم ان مالينكوف كان ممثل هذا الاتجاه الجديد داخل الاتحاد السوفيتى ، وهو الذى دعا الى اعطاء الانسان السوفيتى شيئا من الاستجابة لطلباته اليومية حتى لو كان هذا على حساب الصناعات الثقيلة والنفقات العسكرية ، غير ان هذا الاتجاه مالبث ان اقصى امام دعاوى الخطر الخارجى والتوتر الدولى والحاجة الى التركيز على الصناعات الثقيلة ، وقد ظهرت انعكاسات هذه السياسة الجديدة على سياسات بلدان شرق اوربا حيث بدأت نظمها تعود الى اساليبها القديمة الامر الذى انهار معه الامل فيما كان يمكن ان تتطور عنه الاساليب الجديدة ، وقد ادى هذا التشدد الجديد الى الانفجارات التى وقعت فى بولندا والمجر.

ب ـ بولندا :

كان السبب المباشر فى احداث بوزنان هو تجاهل مطالب عمال مصانع عربات السكك الحديدية لتحسين ظروف العمل ، غير انه كان خلف هذا العامل المباشر سلسلة من التطورات المت بالمجتمع البولندى كان من ابرزها :

١ ـ الضعف النسبى فيما بين اعوام ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦

٢ ـ نمو النقد داخل اجهزة الحزب ضد اساليب القيادة

٣ ـ قيام نوادى للحزب لمناقشة المشاكل وتطوير الافكار وبلورة الاتجاهات الجديدة.

٤ ـ النقد العلنى لستالين والشك فى حكمة تقليد بولندا الاعمى للاتحاد السوفيتى.

٥ـ العفو الذى تم فى ابريل عام ١٩٥٦ عن ٣٠٫٠٠٠ شخص •

٦ـ السخرية العامة من البرلمان البولندى من التصويت بالاجماع حول جميع المسائل •

٧ـ النقد الحاد الذى صدر عن مؤتمر الاقتصاديين فى بداية عام ١٩٥٦ لاولوية الصناعة والمطالبة بان تنتهج الحكومة اسلوبا للاصلاح •

٨ ـ الاعتراف الرسمى بان مستوى المعيشة قد تدهور فى اعوام ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦•

وقد شجع هذا الجو العام وفد منتخب من عمال بوزنان على السفر الى وارسو للتقدم بمطالبهم ، غير انه اشيع بعد سفره بايام انه اعتقل ، وحركت هذه الاشاعات مسيرة لعمال بوزنان حيث انضم اليهم آخرين وتحولت مدينة بوزنان الى معسكر يغلى ضد الحكومة وحمل العمال شعارات ضد النظام وضد الاتحاد السوفيتى ، ولم يعد النظام الى المدينة الا بعد وصول قوات من الجيش ووصم الاتحاد السوفيتى الاتجاه الذى ظهر معاديا له بين صفوف العمال بانه من تحريض العناصر الامبريالية واعلن انه لن يتسامح مع اى محاولة لفصم تحالف بولندا مع الاتحاد السوفيتى ووعد بتقديم ٢٥ مليون دولار لبولندا لمساعدتها فى ازمتها الاقتصادية •

وقد اثارت احداث بوزنان انقساما حادا فى صفوف القيادة الشيوعية البولندية ، فقد نادى البعض باتباع " جوهر ستالينية ولكن بدون الاساليب الستالينية " واكد البعض الاخر الحاجة الى مزيد من التغيير وادخال عناصر ليبرالية فى النظام وكذا الى مزيد من الحريات الشخصية •

وقد حسم هذا الخلاف حين نحى " هيلبرى منيك " فى ٩ اكتوبر عام ١٩٥٦ وهو من مهندس النظام الاقتصادى الستالينى فى بولندا واعيد فاديسلاف جومولكا الذى اتهم ستالين

عام ١٩٤٩ ، وقد نظر الاتحاد السوفيتي الى هذه التغييرات باهتمام ودعى القاده البولنديين الى موسكو للتشاور وحيث لم يلبوا هذه الدعوة وصل الى موسكو خروشوف وجا نجمرفتش وميكويان بدون دعوة ونبهوا القوات السوفيتية الى احتمال تحركها ، وقد اعطى هذا المظاهر للمفاوضات طابعا متوترا ، وكان هدف البولنديين خلالها هو اقناع السوفييت ان التغيرات التى حدثت انما تهدف الى دعم العلاقات بين بولندا والاتحاد السوفيتى من ناحية ، ودعم البناء الاشتراكى فى بولندا من ناحية اخرى • ويبدو ان القادة السوفييت قد اقتنعوا حيث غادروا وارسو وامروا القوات السوفيتية ان تعود الى قواعدها ، وسافر جومولكا ورفاقه الى موسكو حيث وقعوا اتفاقية لتنظيم علاقاتهم على اساس من " الاحترام المتبادل وعدم التدخل والسيادة " ، وقد الغت الحكومة السوفيتية الدين البولندى البالغ ٤ر٢ روبية ووافق البولنديين على التزام الخط السوفيتى فى السياسة الخارجية والسماح ببقاء القوات السوفيتية فى بولندا •

جـ ـ المجـــر :

حـرك هذا النجاح الجزئى الذى حققته الانتفاضة الشعبية فى بولندا ، حرك ثورة عنيفة فى المجر ، وكما حدث فى بولندا ، سبق احداث المجر سلسلة من التطورات كان من اهمها :

١ ـ العداء المرير بين " امرى ناجى " داعيه " الطريق الجديد " وبين " راكوسى " الذى اعتبر هذا الطريق معاديا للحزب وللماركسية والتقدم اللينينى •

٢ ـ وقد انتصر راكوسى وانتصر اتجاهه المتشدد بعد سقوط مالينكوف فى الاتحاد السوفيتى ، حيث استأنف السياسات الاقتصادية الستالينية واساليبه الداخلية فى التطهير والحكم القائم على الارهاب والرعب•

٣- وقد عارض كثير من الاقتصاديين المتحررين اساليب راكوس الاقتصادية واعتبروا انها لا تعوق الشيوعية في المجر فحسب بل تعوق ايضا قيام علاقات صالحة مع الاتحاد السوفيتي .

٤- ادانة خروشوف للستالينية ورد الاعتبار لكثير من المجريين الذين راحوا ضحية حكم الرعب الستاليني .

٥- تكوين نوادى بيتوفى لمناقشة المشاكل والحنق المتزايد بين الشباب المثقفين والدعوة العلنية من جانب بعض اعضاء الحزب " لانهاء هذا النظام الحاضر الذى يعتمد على البوليس والبيروقراطية " .

٦- اقصاء راكوس فى ١٨ يوليو ١٩٥٦ بعد فترة قصيرة من اعلانه انه سوف يقضى على مثيرى الشغب .

٧- وعد قائد الحزب الجديد " ارند جرو " بالتحسين واعترافه بالاخطاء ووعده برد اعتبار كل من عوملوا بغير حق .

٨- الضغط المتزايد بمزيد من التغيرات وقرار موسكو بعودة ناجى الى السلطة فى اكتوبر عام ١٩٥٦ .

وقد بدأت احداث المجر فى ٢٣ اكتوبر عام ١٩٥٦ بمظاهرات سلمية ولكنها اتخذت طابعا اكثر عنفا بعد ان استثارتها قوات الامن ، وفى ٢٤ اكتوبر تدخلت الدبابات والسيارات المدرعة السوفيتية حيث اعادت الامن والنظام ، وفى نفس الوقت وصل ميكويان وسيسلوف الى بودابست واطاحوا بالعناصر الغير شعبية من الحزب وفوضوا ناجى وجونز كادار فى المبادرة باتخاذ سلسلة من الاصلاحات واصدر السوفييت بيانا فى ٣٠ اكتوبر اعربوا فيه عن وعدهم باعادة النظر فى العلاقات الاقتصادية بينهم وبين دول شرق اوربا واستدعاء جميع المستشارين العسكريين وبناء علاقاتهم المستقبلة على مبادئ " من المساواة الكاملة واحترام التكامل الاقليمى

وسيادة الدولة وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاخرى " .

ويبدو ان هذه التنازلات السوفيتية قد شجعت المجريين فاقاموا حكومة ائتلافية وسمحوا بحرية الصحافة وحلوا البوليس السرى ووجهوا نداء الى الامم المتحدة لاخراج القوات السوفيتية من المجر وتنكروا لعضويتهم فى حلف وارسو واعلنوا رسميا حياد المجر .

وازاء هذا التحول الجذرى فى اتجاه المجر صمم السوفيت على التدخل لمواجهة هذه التطورات وقد ساعد السوفييت كثيرا الظروف الدولية التى كانت سائدة حينذاك حيث كان الرأى العام الامريكى مشغولا بالانتخابات الامريكية للرئاسة ، وكان الرأى العام العالمى مشغولا بالعدوان الانجليزى الفرنسى الاسرائيلى على مصر هذا فضلا عن انتفاء الوحدة بين القيادة المجرية .

وقد جاء التدخل السوفيتى حاسما وسريعا حيث اقاموا حكومة برئاسة كادار فى ٣ نوفمبر واستجابوا لدعوته للمساعدة العسكرية " لسحق قوى الرجعية الدنيئة " واعادة " النظام والهدوء " وقد صمدت قوى الثورة فى المجر لبضعة ايام انتهت بعدها الى الاستسلام .

والواقع انه من الصعب التأريخ لاحداث بولندا والمجر عام ١٩٥٦ بدون بيان تاثير العلاقة الجديدة التى اقامها السوفييت والمبادرة منهم مع تيتو بكل ما يمثله من مواقف ، وهذا ما سنتعرض له فى معالجتنا لتطور العلاقة بين الاتحاد السوفيتى ويوغوسلافيا .

ثالثـا : ـ

أ ـ تطور علاقة يوغوسلافيا بالاتحاد السوفييتي :

نستطيع أن نتتبع علاقة يوغوسلافيا بالاتحاد السوفييتي عبر اربعة مراحـــــــل تبدأ الاولى من عام ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠ ، وهى فترة التصادم والمواجهـــــــة مع الاتحاد السوفييتي ويشكل اد ق بين تيتووستالين ، وهو الصدام الـــــــذى نتج عنه خروج يوغوسلافيا من الكومنفورم وقطيعتها مكافة بلدان أوروبــــــا الشرقيـــة •

والفترة الثانية من عام ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥ وهى فترة التقارب بين يوغوسلافيـــا والغرب والاندراج الى علاقات شبه وثيقة فى المجالات المختلفة ومنها المجـــال العسكرى ، وقد دفعت هذه الدرجة من العلاقات بين يوغوسلافيا والغرب كثيـر من المراقبين الى الاعتقاد بان يوغوسلافيـا فى الطريق لا الى التحالـــــف المطلق مع الغرب سياسيا وعسكريا بل والى التخلى عن عقيدتها الماركسيـــــة وسلوك الطريق الرأسمالـــــى •

والمرحلة الثالثة من عام ١٩٥٥ ـ ١٩٥٨ ، والتى بادرت خلالها بـــــل وقبلها القيادة السوفييتية الجديدة الى التقارب مع يوغوسلافيا ومحاولـــــة اعادتها الى المعسكر الاشتراكـــى ، واذا كان التقارب قد تم ، وزال شكــــل التوتر العاصف للعلاقات بين البلدين الا انه لم يخلو الخلافات الايديولوجيـــة نهائيا ، كما ان هذا التقارب لم يكن على حساب قطيعة مع الغرب •

اما المرحلة الرابعة فهى التى تتميز بفترات من التوتـــــر والتصالح فى علاقات يوغوسلافيا مع الغرب والشرق على السواء ، وفى خــــلال هذه المرحلة تبلورت عقيدة يوغوسلافيا فى عدم الانحيـــاز •

%

أولا — مرحلة المواجهة بين يوغوسلافيا والاتحاد السوفييتي :-

علينا ان نتعرف ابتداء على الاصول التى صدر عنها هذا الصدام ، وسنجد انها نفس المصادر التى صاغت المبادىء والافكار التى ظلت يوغوسلافيا داخليا وخارجيا تعمل وفقا لها .

نستطيع ان نتعرف على جذور هذا الصدام فى عدة عناصر ، اولها ، هو ما يمكن ان نسميه بوضع يوغوسلافيا المتميز والفريد بين بقية بلدان اوروبا الشرقية . فباستثناء يوغوسلافيا وقادتها ظل معظم قادة الاحزاب الشيوعية خلال فترة الحرب فى موسكو بل كانوا غير معروفين تقريبا لدى الجماهير فى مجتمعاتهم ، من هؤلاء نستطيع ان نعدد بيرت فى بولندا ، وراكوسى فى المجر ، وجوتوالد فى تشيكوسلوفاكيا ، ود يمتروف فى بلغاريا والبرخت فى المانيا الشرقية ، وقد عاد هؤلاء جميعا الى اوطانهم تحملهم القوات السوفييتية وعلى العكس من كل بلدان اوروبا الشرقية فان الجيش الاحمر لم يكن له دور تقريبا فى تحرير يوغوسلافيا بل ان تيتو ورفاقه لا يستطيعوا ان يطووا ما فى نفوسهم على ما رسبه فيها موقف ستالين السلبى منهم فى احرج اوقات الكفاح ، فخلال تنظيم تيتو للمقاومة الشعبية وحرب العصابات فى جبال يوغوسلافيا وحين اشتدت الحملات النازية ضدهم اضطر تيتو ان يوجه نداء الى ستالين لمساعدته دون جدوى مما اضطره الى أن سوجه له رسالة يقول فيها " اذا لم تستطيعوا مساعدتنا فعلى الاقل كفوا عن عرقلة جهودنا " . ولكن تركيز الهجوم النازى وسوء حالة قوات تيتو جعله يوجه الى ستالين نداء ثانيا يقول فيه " اتوسل اليكم ان تساعدوننا " وكان ان بعث له ستالين يطلب منه التعاون مع العناصر المعادية للشيوعية بحجة " ان المهمة الرئيسية الان هى هزيمة العصابات الفاشية ، ويمكنك ان تضع فى اعتبارك ان الاتحاد السوفييتى تربطه التزامات بملك يوغوسلافيا وحكومتها وان اية عمليات واضحة ضد الحكومة والملك كفيلة بان تخلق عقبات امام المجهودات الحربية العامة .. "

ثم تبع هذا بنصيحة كان لها دلالاتها فيما بعد حين قال " لا تنظر الى الكفاح من وجهة نظرك الوطنية ولكن من وجهة النظر الدولية . "

%

كما كانت طبيعة التكوين للحزب الشيوعى اليوغوسلافى مختلفة عن تكوين الاحـــزاب الاخرى ، فمن بين ١٢٠٠٠ عضو ضمهم الحزب عام ١٩٤١ لم يبق منهم بعد الحرب سوى ٣٠٠٠ ، ثم بلغت عضوية الحزب عام ١٩٤٥ ، ١٤٠,٠٠٠ فزادوا الى ٤٤٨,٠٠٠ عام ١٩٤٨ ولهذا فان قلب الحزب تكون من العناصر الوطنية التى لم تكن الماركسيـــة هى الرباط الوحيد الذى يجمعهم ، فقد اعتنقوا الماركسية خلال التجربة الوطنيـــة الحادة حيث كانت مصلحة وطنهم تعلو وتفوق مصلحة الشيوعية العالمية او الاتحاد السوفييتى فضلا عن ان التركيب الاجتماعى للحزب كان ذا دلالة بدت آثارها فى سياسات الحزب ومبادئـــه فحتى عام ١٩٤٨ كان نصف اعضاء الحزب من الفلاحين .

وثمه عناصر اخرى تضاف الى التكوين الفريد ليوغوسلافيا من هذه العوامل الحميـــة القومية التى ينطوى عليها ابناء يوغوسلافيا ، كالسلاف والصرب والى حبهم للنضال والبطولات فضلا عن ان شخصية تيتو ذات اهمية فى تشكيل وضع يوغوسلافيا الفريد فبين القادة الشيوعيين فى بلدان اوروبا الشرقية ينبرز تيتو كشخصية وطنية وبطل شعبى يحوز على ثقة مواطنيـــه خارج الحزب وداخله بحيث يقف تيتو فعلا اكثر شعبية من نظامه من رصيده الذاتى ونضالـــه الشخصى/ بينها كان ما اطلق عليهم " الرجال الاقرباء " فى مجتمعات اوروبا الشرقية كذلك لانهـــم — وفى المحل الاول — من فرخموسكـــو .

ومن العوامل الثانوية الاخرى ، العامل الجغرافى ، فباستثناء البانيا تقع يوغوسلافيـــا على مبعدة من الاتحاد السوفيتى اكثر من اية دولة شيوعية آخرى ، وقد بولغ فى تصويـــر هذا العامل كمفسر لموقف يوغوسلافيا المستقل ، ذلك ان نفوذ الاتحاد السوفييتى داخـــل بقية بلدان المعسكر ، لا يرجع الى مجرد قربها الجغرافى من الاتحاد السوفييتى ، فضـــلا عن وجود بلدان كالمجر ورومانيا وبلغاريا على الحدود الشرقية ليوغوسلافيا كان يمكـــن ان ينسخ هذا العامل ويعتبر وجودا روسيا غير مباشر على حدودها ، وعلى اية حـــال فان العامل يمثل عنصرا نفسيا اكثر منه سياسيا فى العلاقات بين البلديـــن .

٪

والعنصر الثانى الذى نستطيع ان نرد اليه المواجهة السوفييتية اليوغوسلافيـــــــة هو العلاقات الاقتصادية بين البلدين . فقد ادعى اليوغسلاف ان الاتحاد السوفييتى يهـــدف الى السيطرة على الاقتصاد اليوغوسلافى وتوجيهه والى استغلال مصادر هذا الاقتصــــاد لصالح الاتحاد السوفييتى اكثر منه لصالح يوغوسلافيا الوطنى . وقد بدء هذا الشعــــور لدى اليوغسلاف فى أول مراحل عمليات التنمية الاقتصادية حين شرع تيتو فى اقامة صناعـــات خاصة وان لدى يوغوسلافيا المواد الخام والمعادن اللازمة لهذه الصناعات ولكن تيتو اصطـــدم بسياسة ستالين آنذاك ورغبته فى تكامل اقتصاديات المعسكر وكان هذا يعنى ان تظل يوغوسلافيـــا فى اطار هذا التقليدى دولة زراعية ومصدرا للمواد الخام وتحصل مقابل هذا على احتياجاتهـــــا من المنتجات الصناعية ولذلك رفض ستالين تزويد يوغوسلافيا بالالات والمعدات اللازمـــــة للمصانع وأمر الاقطار الاشتراكية الاخرى باتباع نفس الاسلوب مع تيتـــو .

ومن مصادر شكوى يوغوسلافيا فى مجال العلاقات الاقتصادية مع السوفييت نظام الشركـــات المختلطة الذى اقترح السوفييت اقامته فى مجالات الطيران والملاحة والتجارة لتنمية الاقتصـــــاد اليوغسلافى وان تقوم هذه الشركات بمعدات وآلات روسية وبرأسمال روسى يوغسلافى مشترك غير ان اليوغسلاف يدعون ان الاتحاد السوفييتى لم يدفع نصيبه فى هذه الشركات .

اما المصدر الثالث للتوتر بين البلدين فهو اسلوب يوغسلافيا فى تطبيق الاشتراكيـــــة فى المجال الزراعى . ولكى نتفهم هذا الاسلوب يجب ان نرجع الى فترات الكفاح الوطنـــــى ضد النازى وأن نعلم ان قوة الفلاحين كانت القوة الرئيسية فى هذا الكفاح . وأن نستعيـــــد كذلك ان نصف التركيب الاجتماعى للحزب الشيوعى اليوغسلافى كان من الفلاحين . لذلـــك لم يكن تيتو يملك مع عقيدته الماركسية سوى إن يسلك سلوكا متهاونا تجاه هذه الطبقة وان يتجـــاوب بشكل ما مع ارتباطهم الغريزى بالارض وملكيتها . بل ان التركيب الاجتماعى للمجتمع اليوغسلافى نفسه يبرر هذا السلوك . فاذا كانت الماركسية التقليدية تعتبر الطبقة البرولتارية هى الطبقـــة القائدة والموجهة للمجتمع فان هذا يكون منطقيا ومقبولا فى مجتمع أغلبيته من العمـــــال اما فى مجتمع كيوغسلافيا يمثل الفلاحين فيه من ٧٠ الى ٨٠٪ واكثرهم من صغار مـــــلاك

%

الاراضى ،فان المأخذ الخلاق للماركسية يلزم مراعاة هذه الخصائص الذاتية الموضوعية وان تطوع الماركسية لكي تتلاءم وتتجاوب مع هذه الظروف ،وهذا ما دفع تيتو الى ان لا يأخذ بالشكل الصارم للمزارع الجماعية كما حدث فى الاتحاد السوفييتى وان تبقى ملكية الارض فى أيدى الزراع ولكن فى نطاق تعاونيات تتجمع فيها جهود الفلاحين

لذلك اعتبر الروس هذا الاسلوب فى التطبيق فى مجال الزراعة هو هرطقة وتثبيتا للبذور الرأسمالية فى الريف .

وقد تجمعت هذه العناصر جميعا لكى تشكل العاصفة التى هبت على علاقات يوغسلافيا بالاتحاد السوفييتى وباعلان طرد يوغسلافيا من الكومنفورم .

ثانيا ـ مرحلة التعاون مع الغرب ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥ :ـ

واجهت يوغسلافيا فى هذه المرحلة احرج مراحل تطورها السياسي والاقتصادى ،ففى الوقت الذى تدهورت فيه العلاقات مع الاتحاد السوفييتى وبلدان المعسكر الاشتراكى كانت علاقات يوغوسلافيا مع الغرب وبشكل خاص مع امريكا وانجلترا على درجة كبيرة من السوء والتوتر .

وقد تبع طرد يوغسلافيا من الكومنفورم حملة واسعة من العداء ضد تيتو اتخذت اشكالا متعددة ابتداء من الحملات الصحفية والاعلامية الى التنكيل بانصار تيتو مؤيديه غير ان اكثر العناصر حسما وتاثيرا على النظام فى يوغسلافيا كان الحصار الاقتصادى الذى فرضه الاتحاد السوفييتى ومن ثم بلدان اوروبا الشرقية وهو الحصار الذى انزل ضربة عنيفة بالاقتصاد اليوغسلافى وخاصة ان هذا الاقتصاد , كان اول مراحل تخطيطه لعمليات التنمية الاقتصادية والتغلب على آثار التخريب النازى ،وكانت يوغسلافيا قد اقامت تخطيطها الاقتصادى على اساس المساعدات المتوقعة والتعاون الاقتصادى مع الاتحاد السوفييتى وبلدان اوروبا الاشتراكية ،غير انه بعد القطيعة اوقف ستالين كافة الصادرات الروسية الى يوغسلافيا

%

وكذا جميع العقود والاتفاقيات التجارية كما حرص البلدان الاشتراكية الاخرى — وخاصة الصناعية منها — على وقف كافة علاقاتها الاقتصادية مع يوغسلافيا •

وانعكس هذا بشكل عنيف على الاوضاع الاقتصادية فى يوغسلافيا وكاد ان يتوقف مشروع السنوات الخمس الاول للصناعه بسبب توقف ورود الالات والمعدات اللازمة له ، كما انعكس هذا ايضا على مستويات المعيشه وندره المواد التموينية وارتفاع الاسعار بشكل مخيف •

وقد بدأت الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة وانجلترا ترقب هذا الموقف بافكار وعواطف متضاربه ، يختلط فيها الاعجاب بهذا الموقف الشجاع من دوله صغيره ازاء قوة كبرى بالرغبة فى استغلال هذا الوضع لسلخ يوغسلافيا بشكل نهائى من العائله الاشتراكية الى المعسكر الغربى •

وقد بدأت العلاقات بين يوغسلافيا والغرب يشوبها الشك والحذر القديم ، غير انها سرعان ما تطورت بسرعه خاصة وان المساعدات التى قدمها الغرب كانت غير مشروطه مما شجع تيتو ودلمأنه ، فقد قدمت الولايات المتحدة ما قيمته ٧٠ مليون دولار من الاطعمه والمواد الغذائية وتسلمت يوغسلافيا حتى عام ١٩٥١ قروضا وتسهيلات ائتمانية من بريطانيا قيمتها ٢٢ مليون جنيه استرلينى ومن الولايات المتحدة ما قيمته ٥٣ مليون جنيه كما اوصى وفد من الخبراء الانجليز والامريكان بتقديم معونه مباشرة الى يوغسلافيا قيمتها ٥٠ مليون جنيه استرلينى لتمكنها من تغطية العجز فى ميزانها التجارى حتى شهر يونيو عام ١٩٥٢ •

واعقب هذا تحول بارز فى علاقات يوغسلافيا بالغرب حيث وقعت اتفاق المساعدة العسكرية مع الولايات المتحدة ووصول بعثة عسكرية امريكية الى بلجراد فى نوفمبر عام ١٩٥١ ، وذكر الرئيس ترومان للكونجرس وقتها " ان القوات اليوغسلافية قد اصبحت عائقا هاما ضد العدوان فى جنوب شرق اوروبا " وان المساعدات العسكرية لتيتو هى شىء مرغوب فيه "لصالح الامن بالنسبة للولايات المتحدة والعالم الحر " •

و تأثرت هذه التطورات فى علاقات يوغسلافيا بالغرب اندفاعه فى بناء سلسلة احلافه

%

فبعد الناتو — الذى ضم بشكل شاذ دولتين غير اطلانطيتين هما تركيا واليونان — اقسام الغرب حلف بغداد وحلف السنتو ولم يكن من الطبيعى او المعقول ان يحاول الغرب ضم يوغسلافيا الى أى من هذه الاحلاف على الاقل فى هذه المرحلة الا انه فى هذا الوقت تصادف تحسن علاقات يوغسلافيا بكل من تركيا واليونان وجذب هذا التطور فى علاقات الدول البلقانية الثلاث فكر مخططوا سياسة الاحلاف فى الغرب وفكروا فى حلف بلقانى يضم يوغسلافيا — بل يقام من اجلها — ويصبح فيما عبر أحد الادميرالات الامريكيين ذو رابطة مع الناتو .

والواقع ان تيتو كان قد قدم بعض الاسس التى بنى الغرب آماله عليها فيما يتعلق بامكان انتساب يوغسلافيا الى حلف الناتو بشكل ما ، برغم ان الناتو كان لايزال فى نظر الفكر اليوغسلافى " قوة مستفزة " الا انه حين وصلت البعثة الامريكية الى بلجراد عام ١٩٥١ تحدث تيتو عن حلف الاطلنطى كنتيجة منطقية للسياسة السوفييتية " وحيث لن يكون تناقض مع المبادئ اليوغوسلافية فقد وعد بالتعاون مع اقطار الناتو "حول المشاكل ذات الطابع الدولى " بل انه ذهب الى حد الترحيب بالمانيا الغربية فى عضوية الناتو ، ولكن حين جاء وقت المعاهدة الفعلية فان تيتو قد تراجع وقرر " اننا لانرغب فى خلق احلاف بل وحتى ولا حلف اقليمى مع اليونان وتركيا " .

غير ان اتجاه الاحداث والخوف من العداء الستالينى وشواهد الصداقة الغربية قد دفعت الى مزيد من التعاون بين يوغسلافيا والغرب وكان من نتيجتها معاهدة الصداقة والتعاون مع اليونان وتركيا فى فبراير عام ١٩٥٣ .

ورغم ان المعاهدة بالاضافة الى ما تنص عليه من تعاون اقتصادى وفنى وثقافى وانها كانت تدعو الى التشاور فى المعلومات بين رؤساء هيئة اركان الحرب للبلدان الثلاثة الا ان احدى موادها تستبعد ايه علاقة خاصة مع الناتو ، لذلك بدأ الغرب يدفع الى تحالف عسكرى حقيقى .

%

وما كان مشجعا على هذا ما بدء يبدو على تيتو من استعداده للدخول فى حلف عسكرى مع اليونان وتركيا وهما الدولتان أعضاء حلف الناتو وذات الاتجاه القوى المعارض للاقتصاد السوفييتى ، بل أن يوغسلافيا لم تعلن صراحة معارضتها لانضمام ايطاليا الى الحلف المقترح وان كان مفهوما انها تعلق ذلك على تسوية مشكلة تريستا والتى كانت مفاوضاتها تجرى فى ذلك الوقت .

وبالفعل وقعت يوغسلافيا حلف البلقان فى ٢٥ اغسطس عام ١٩٥٤ ومن بين مواده ان أى عمل عدوانى تجاه احدى دوله يعتبر عدوان عليها جميعا .. وقد رحب الغرب بهذا الحلف ـ وان كان قد خرج بدون ايطاليا ـ واعتبره نصر كبير وعلق دبلوماسى بريطانى بقوله " مددنا الناتو حتى حوائط الكرملين " كما عبر احد الصحفيين بقوله " فى خلال ستة شهور ستنضم يوغسلافيا الى الناتو "

والواقع ان هذا الصحفى لم يكن مجنونا او مخمورا كما وصفه بوبوفتش وزير خارجية يوغسلافيا بقدر ما كان يعبر عن الاحلام التى راودت بعض دوائر الغرب عن يوغسلافيا وقد ازعجت هذه الاوهام تيتو حقا حيث كان يعلم انه هناك حدودا لا يستطيع ان يتجاوزها فى التعاون مع الغرب وقد عبر تيتو عن نفسه فى سبتمبر عام ١٩٥٤ حين قال "لا تخلقوا منا ماليس فينا فنحن اولا واخيرا شيوعيين " .

ثالثا ـ مرحلة التقارب من جديد مع موسكو ١٩٥٥ ـ ١٩٥٨ :ـ

كانت المشكلة اليوغسلافية من المشاكل التى ارقت القاده الجدد فى الاتحاد السوفييتى بعد ستالين ، فبعد وفاته اقترح السوفييت تبادل السفراء بين البلدين وشجعوا بعض بلدان اوروبا الشرقية على عقد اتفاقات تجارية مع اليوغسلاف ، واقترحوا هم ايضا توقيع اتفاقية تجارية بين البلدين . غير ان نظرة الشك كانت ما زالت عميقة الجذور لدى اليوغسلاف تجاه السوفييت .

وقد نشطت خطوات السوفييت نحو التقارب مع يوغسلافيا بعد توقيع معاهدة البلقان وبدءت

%

الحملات الصحفية ضد يوغسلافيا تختفى وبدء القادة السوفييت يتحدثون بشكل ود ود عن يوغسلافيا بل ووقعت معاهد تجارية فى نهاية عام ١٩٥٤ •

ورغم ان الاقتصاد اليوغسلافى كان مازال محملا بالمشاكل الا انها لم تكن فى مستوى عام ١٩٥٠ ـ ١٩٥٣ • كما ان حلف البلقان قد قوى من مركز يوغسلافيا الدبلوماسى فى تعاونها مع كل من الشرق والغرب •

فى ضوء هذه الظروف حدد تيتو موقفه من الناتو حيث قال " ان حلف الاطلنطى يصبح بشكل متزايد ذو صبغة سياسية اكثر منها ايدلوجية وهى محاربته للشيوعية • ان الغرب يعلن انه الحلف ضد شيوعية السوفييت ، ولكنه اكثر من هذا •• وبالنسبة لنا نحن ذوى الصبغة الاشتراكية فليس لنا مكان فى كتله معادية للاشتراكيـة • "

والواقع ان التحولات التى حدثت فى سياسة السوفييت تجاه يوغسلافيا ومحاولات التقارب المخلصة التى بذلت قد اثارت الافكار المتضاربة لدى القادة اليوغسلاف ، فمع ان القادة الجدد فى الاتحاد السوفييتى قد القوا كل اللوم على ستالين ، الا ان اليوغسلاف ليسوا مستعدين تماما لنسيان كل ما حدث ، وفى نفس الوقت فان أمل التضامن مع الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية لم ينطفئ فى قلوب القادة اليوغسلاف •

وقد اعلن تيتو فى اكتوبر عام ١٩٥٤ " ان هذه البداية فى عودة العلاقات الى طبيعتها تملأنا بالامل فى ان يستمر هذا الاتجاه ••• "

والواقع انه ان كان قد حدثت استجابة ترحيب من جانب اليوغسلاف لمبادرة السوفييت فان هذا كان يرجع الى ما كان يأمله اليوغسلاف من ان يؤدى هذا التقارب الى تحرير يوغسلافيا من عبء الاعتماد الحقيقى على الغرب / هو الذى حدى بهم الى تقبل مبادره السوفييت اكثر منه أى شىء آخـر •

وقد تيقن تيتو ان سياسة السوفييت الجديدة تعبر عن نوايا حقيقية ، فقد انتهت

الايام التى كان يمكن النظر فيها الى الاتحاد السوفييتى باعتباره " قوة خطره ومهدده "
ولم يمنع هذا تيتو من أن يتمسك بالحذر ويعلن ان العلاقات اليوغسلافية السوفييتية لا يتوقع
لها ان تعود كما كانت قبل القطيعة .

وبطبيعة الحال بان هذا التقارب الجديد مدعاة عدم سعادة لدى الغرب ولكى ينفى
تيتو مظنه أن يوغسلافيا تلعب بالغرب ضد الشرق او العكس فقد حرص ان يؤكد ان هذا التحول
لا يعنى انه قد تخطى عن صداقة الغرب " فلكى يكون الامر واضحا للجانب الاخر ، يعنى
الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية ، يجب ان يدركوا اننا لا نستطيع ان نحسن علاقاتنا على حساب الغرب
مع الشرق ، كما اننا لا يمكننا ان نتراجع عما سبق ان قررناه من قبل ، فالدول الغربية
لم تبدى العداوه لنا بل انهم اثبتوا صداقتهم وقت الحاجة .

اما الحدث الرئيسى فى عمليات التحول الجديد فى العلاقات بين يوغسلافيا والاتحاد
السوفييتى فكانت زيارة خروشوف وبولجانين لبلجراد عام ١٩٥٥ ، فقد وصفت هذه الزيارة
بانها من أغرب احداث ما بعد الحرب الثانية ، واعلن تيتو المحادثات سوف تجرى امام
العالم اجمع وان ليس ثمه نية ان " نناور من خلف الستار على حساب الاخرين " كما
علن ان يوغسلافيا " ستظل وفيه للحلفاء الغربيين ، وبشكل خاص الولايات المتحدة التى مدت
وتستمر فى مدنا بالمعونة . وهرع سفير امريكا فى بلجراد الى واشنطون لكى يردد للخارجية
الامريكية هذه الكلمات ويهدى من المخاوف التى اثارتها هذه الزياره .

وقد اشارت هذه الزياره الى تحول فى السياسة الخارجية السوفييتية ، وان كانت
بعد ليست عميقة الجذور ، وذلك حين قبلت ان يكون لكل دولة اشتراكية الحق فى ان تسلك
" طريقها الخاص الى الاشتراكية " وربما هذا ما جعل تيتو يصور القاده السوفييت بانهم
رجال يرغبون فى اتباع طريق جديد . وانهم يرغبون فى السلام بشكل ليس أقل من الامريكيين . .
وقد اقتنع الروس ان يوغسلافيا دوله مستقله وانها ترغب فى ان تظل كذلك عن الغرب وعن الشرق
وان لها طريقها الخاص للتطور وانها لن تسمح بأى تدخل فى شئونها الداخلية ، وهذا

%

هو ما مكننا من أن نجد لغة مشتركة واصبح من السهل بحث امور تعاوننا فى المستقبل
وسرعان ما تم التعاون المتوقع بشكل لا يحمل تأثير طيب على تعاون يوغسلافيا الوثيق
وان نتيوغسلافيا قد تخلت عن دعواها تجاه السوفييت عن آثار الحصار الاقتصادى عليها
كما تبع هذا تأييد من يوغسلافيا لكثير من المواقف السوفييتية فى المجال الدولى . وازاء
النقد الذى تردد فى الغرب رد تيتو عليه بعنف ، وتلى هذا نزاع مع البعثة العسكرية الامريكية
حول حقها فى التفتيش على المعونة المسكرية ، كما احتج الامريكان على ما اشيع حول مشروع
بناء مصنع للطائرات الميج وبانه يمكن أن يؤثر بشكل سيء على المعونة الامريكية ليوغسلافيا
وبدء تيتو يشكو من ارتفاع فوائد القروض الغربية وهاجم المانيا الغربية لعدم وفائها بمطالب
التعويضات اليوغسلافية .

والواقع ان القلق الذى ابداه الغرب ازاء هذا التطور فى العلاقات بين روسيا ويوغسلافيا
انما يرجع الى المفاهيم الخاطئة وغير المتوازنه التى كونها الغرب عن طبيعة الخلاف
بين البلدين وعن الاحتمالات التى يمكن ان يذهب اليها . فثمة مفهومين متناقضين انتشرا
فى الغرب ، يأخذ المفهوم الاول بان الصدام اليوغسلافى الروسى لم يأتى باى تغيير
فى طبيعة الشيوعية اليوغسلافية وان تيتو انما يستخدم الخلاف لضرب الشرق بالغرب ، اما
المفهوم الثانى فهو الذى أخذ باتجاه متطرف آخر يذهب الى ان الخلاف قد خلق تغيرا كبيرا فى
النظام اليوغسلافى وان قادته تخلوا عن الدعائم الرئيسية للماركسية اللينينية ان لم يكونوا قد اصبحوا
احد النماذج فى الديموقراطية الغربية وانهم يرون مستقبلهم كجزء من العالم غير الشيوعى .

ان التقارب الجديد مع السوفييت قد جعل اليوغسلاف يرون أنفسهم فى موضع جديد
واكثر أهمية فى الشئون الدولية ، فمع اقتناعهم بان الروس لم يعودوا يمثلون خطرا
عليهم فى الوقت الذى مازالوا يعتقدون فيه بنوايا الغرب السلميه ، فان هذا قد جعلهم
يتصورون امكان "التعايش السلمى" ولكنه التعايش الذى يمارس بنشاط والا استحال
الى سلبية وانعدام التاثير ، وهذا ما جعل البعض يطلق على يوغسلافيا القنطرة التى تصل
الغرب بالشرق .

وقد تبدت هذه السياسة فى موقف تيتو من الاحلاف ، فرغم ان النقد الذى كان يوجهه اليوغسلاف لحلف وارسو قد خف عن ذى قبل ، الا انما زال يعتبر "نتاج عقلية المعسكرات وانه يساهم فى التوتر الدولى" ، وفى نفس الوقت ، بعد ان وازن علاقاته الدولية وتحرر من الخوف من الاعتماد على الغرب ، اندفع فى الهجوم على الناتو وساواه بحلف وارسو واعتبر ان الاول قد قام نتيجة لسياسات الاتحاد السوفيتى ، وظهر الثانى كنتيجة للأول ورد عليه •

كما شنت يوغسلافيا هجوم عنيف على حلف بغداد وزادت العلاقات الجديدة والمبشرة بالالمام والعمق مع بلدان تختط سياسة جديدة وأسلوب مماثل للاسلوب اليوغسلافى فى التعامل الدولى كمصر ، وكان من الطبيعى ان ينعكس هذا على وضعية حلف البلقان ، فبعد ان رحب به "كضرورة مطلقة وحيوية" ، بدء قدره ينقص فى التقدير اليوغسلافى وبدءت تتلاشى جوانبه العسكرية وكاد ان لايبقى منه سوى اسسه الاقتصادية والثقافية ، وكنتيجة للنزاع التركى اليونانى حول قبرص فانه حتى الشكل الاسمى للحلف أصبح على الورق •

وقد اعتبرت السياسة السوفيتية تخلى يوغسلافيا عن حلف البلقان من مناسبها التى حققتها لها تقاربها مع تيتو •

وقد اكد اليوغسلاف ان موقفهم ضد الاحلاف انما هو من أجل السلام ، وهو ليس مجرد "حياد" والذى يعنى عمليا انه ليس ثمه سياسة ، بل انه يمكن اعتباره مساعده للمعتدى ولكن "التعايش النشط" ، كما اراد اليوغسلاف ان يسموا سياستهم ، تعنى الايجابية والحركة والتأثير ، كما ان تضميناته الاساسية التعاون مع البلدان الغير منضوية فى احلاف بل انه يمكن ان يتضمن ، فى موقفها ، التعاون مع دول معسكر او آخر ، وهذا ما عناه اليوغسلاف بـ "السياسة من أجل السلام"

وقد دخلت العلاقات اليوغسلافية السوفيتية مرحلة اكثر تطورا بالزيارة التى قام بها تيتو للاتحاد السوفيتى عام ١٩٥٦ ، وهى ما اطلق عليها "الزيارة المظفره" والتى

استقبل فيها تيتو استقبال الابطال ومدى الشعب السوفييتى وكانه فرح به ، واذا كانت زيارة القاده السوفيت لتيتو قد قوبلت بالتحفظ والحذر من جانبه فانه فى هذه الزيارة قد خرج عن تحفظه ،وأكد "ان روسيا ويوغسلافيا يسيران جنبا الى جنب على طريق ماركس وانجلز ولينين " ورد خروشوف " اننا قد اهتدينا بسهولة الى لغه مشتركة للتفاهم المتبادل ،فنحن جزء من عائله واحده هى العائله الاشتراكية ، اذا كانت طرقنا تختلف عن طرقكم فان هذا لايمنع من أن هدفنا واحد .... "

ورغم هذا التطور الواضح فى العلاقات السوفييتية اليوغسلافية ،فان تيتو لم يسمح لنفسه بالذهاب بعيدا ، فقد حرص خلال الزياره هو ووفده على أن يؤكد استقلالية يوغسلافيا ،فركز البيان الذى صدر عقب الزياره ان التعاون بين البلدين سيكون اراديا وحين اذاع بعض المراسلين نبأ ان تيتو قال ان يوغسلافيا جزء من العائلة السوفييتية بادر الرسميين اليوغسلاف الى ا تصحيح ،وحين رحب المارشال زوكوف بيوغسلافيا كحليف بادر ببوفتش بسرعة الى نفى حدوث أى تفكير فى تحالف عسكرى .

<u>يوغسلافيا واحداث بولندا والمجر بوادر توتر جديد فى العلاقات السوفييتية اليوغسلافية :-</u>

على الرغم من انه من الصعب من أن نربط بشكل مباشر بين بروز الطابع القومى فى بلدان اوروبا الشرقية وبين مواقف تيتو الاستقلالية ذلك ان الاصول الحقيقية لهذا الطابع تكمن فى تربه وتكوين هذه البلدان ،الا ان هذا لايعنى ان النموذج الذى قدمه تيتو لم يكن لهتأثير داخل هذه المجتمعات ،كما انه ،ايا كانت مرحلة العلاقات التى وصلت مع روسيا فان وضعه يفرض عليه مواقف متميزه قد لاترضى الاتحاد السوفييتى .

وقد حدث بالفعل ان بدت بوادر التاثير اليوغسلافى على الانظمه والشخصيات فى بعض بلدان شرق اوروبا . فبعد زيارة خروشوف لتيتو وما أخفاه عليه ،اجتمعت اللجنة المركزية للحزب البولندى " للنظر فى الطبيعة الخاصة بالطريق البولندى الى الاشتراكية "

كما اعلن عن الافراج عن الزعيم الوطني البولندي جوملكا ،كما رد اعتبار كثير من الشخصيات التي أدينت بسبب مواقفها المتعاطفة مع تيتو وأفكاره كما اختفت شخصيات عرفت بعدائها لتيتو مثل " شرفنكوف في بلغاريا .

وكانت احداث بولندا والمجر هي قمة التأثير الذي ظن البعض انه وقع تحت التأثير المباشر لتيتو ،ويبدو ان هذه الاحداث قد جعلت خروشوف يراجع نفسه حول ما اذا كان مسلكه تجاه تيتو كان صوابا ام لا ،وعلى اية حال فان ثمة تغيرا في لهجة السوفييت تجاه بلدان اوروبا الشرقية قد ظهرت كما ان هذه الاحداث قد قوت من مجادلات ستالين واثبتت صحة دعواهم فقد دعت اللجنة المركزية للحزب السوفييتي الى مزيد من الانضباط داخل الاحزاب الشيوعيه في اوروبا الشرقية ،واعلن بولجانين في وارسو " اننا لا نستطيع ان نمر بلامبالاة تجاه اضعاف الروابط بين البلدان الاشتراكية بدعوى ما يسمى بالخصائص القوميه " وبدء الحزب السوفييتي يبعث برسائل سرية الى الاحزاب الاخرى يحذرها من نفوذ تيتو بل ويثير الغبار حول طبيعة الاشتراكية اليوغسلافية .

ودفع هذا الوضع خروشوف الى الاجتماع بتيتو في بريوني ثم العوده سويا الى يالتا لمواصلة مباحثاتهم والتي يدرسوا سويا سؤالا جوهريا هو كيفية تدعيم الاشتراكية في بلدان اوروبا الشرقية .

وقد اكد تيتو ان القوى الاشتراكية في اوروبا الشرقية هي من القوه بحيث تستطيع العيش بدون الاساليب الستالينية ،كما ان التحرر الممتزج بالقومية لن يقوى من الاشتراكية فحسب بل أن غياب هذا الاسلوب هو الذي يعرض الاشتراكية للخطر .

وقد كان تعاطف يوغسلافيا مع احداث بولندا واضحا في الترحيب الذي استقبلت به بلجراد عودة جوملكا سكرتيرا للحزب البولندي وهو ما اعتبرته "نصر عظيم للاشتراكية "

اما تجاه احداث المجر فان موقف اليوغسلاف قد اتسم بتعدد الوجوه والمواقف

%

فالوضع/ان الذى قام فى المجر يحمل فى طياته عناصر بعضها يلتقى مع الافكار والمبـادئ اليوغسلافية باعتبار جوانبها التحررية والاستقلالية ، والبعض الاخر قد لاترضى عنه يوغسلافيا باعتبار اصولها الماركسية التى لم تتنكر لها .

والمعروف ان الأحداث فى المجر قد مرت بمرحلتين ، الاولى هى التى جاءت بتنصيب ادار وناجى الى الحكم وهى الاحداث التى وصفتها يوغسلافيا انها تمت فى نطاق وسيادة العناصر الوطنية والشيوعيين المجريين ، ولهذا فان التدخل السوفييتى لم يكن له ما يبرره تماما اما المرحله الثانية التى خرج فيها ناجى وحده بمبادئ تخرج عن نطاق الاشتراكية ، فان التدخل السوفييتى فى هذه الفترة لايمكن وصفه اكثر من انه شئ " سئ "

وقد احدثت الثورة المجرية وخاصة فى مرحلتها الثانية اثرا كبيرا فى يوغسلافيا ونشرت الصحف اليوغسلافية اخبارها بشكل يوحى بالتعاطف معها وقال بيان وكالة الانباء اليوغسلافية " انه من الطبيعى ان ننظر بشكل سلبى الى طلب الحكومة المجرية مساعدة الجيش السوفييتى ولكن من الواضح ايضا انه لا الاشتراكيين ولا القوى التقدمية فى العالم تنظر بالرضى الى هذا الشكل من الاشكال النضال " وبهذه الصياغه المتوازنه تفادت يوغسلافيا ادانة او تأييد احداث المجر .

وقد قدمت يوغسلافيا مزيدا من الايضاح لموقفها من هذه الاحداث ، فقد حدث ان هاجم انور خوجا الالبانى يوغسلافيا بشكل عنيف فى اجتماعات المؤتمر العشرين للحزب السوفييتى ونشرت الصحف السوفييتية هذا الهجوم بشكل بارز ، وخرج تيتو يسخر من ادعاء ان احداث المجر قد صنعتها أيدى اجنبية ، واذا كان الرجعيين المحليين قد حولوا الثورة فى مرحلتها الأولى ، الى ثورة ضد الاشتراكية فان هذا كان بفضل التدخل السوفييتى الاول واثارته لغضب الشعب المجرى . وقرر تيتو انه كان امام اختيارين ، اما شر التدخل السوفييتى ، أو شر حرب أهلية وخراب وربما حرب عالمية ثانيه ، ولما كان الشر الاول هو اهونهما ، فان تيتو قد تقبله وان كان من المسير انكار طابعه التدخلى الصريح .

%

واعقب هذا هجوم " البرافدا (على تيتو حيث وصفته بانه يبث الفرقة بين البلدان الاشتراكية بادعاء ان الطريق اليوغسلافى للتقدم هو الاكثر صوابا وهو الطريق الوحيد الممكن . "

بعد هذه الغيوم التى اجتاحت العلاقات اليوغسلافية السوفييتية ، وقف خروشوف فى احدى المناسبات يعلن انه يود ان تتحسن العلاقات الحزبية والحكومية بين بلاده ويوغسلافيا ورد تيتو "ان التحول فى الاتجاهات السوفييتية يثير سؤالا وهو هل يمكن ان نثق فيهم مره أخرى ؟ سيكون من الخطأ ان نقول لا ذلك لانه يوما ما ، نتمنى ان لايكون بعيدا ، سوف يخمد هذا السلوك غير الودى تجاهنا .

وقد اعقب هذا اجتماعا لتيتو بخروشوف فى احد المؤتمرات الشيوعية فى بوخارست فى هذا اللقاء قيل ان خروشوف قد اكد لتيتو اعتقاده فى اهمية ادخال عديد من عناصر التحرر فى اقامة بلدان اوروبا الاشتراكية " وانه مستعد ان يؤيد بقوه " الطرق المستقلة الى الاشتراكية " ولكنه ربط هذا بما اسماه "التضامن الاشتراكى " ولما كان هذا يعنى تاييد يوغسلافيا المطلق للسياسة السوفييتية ، فان تيتو قد اعترض على الانتساب الرسمى الى الكتلة السوفييتية ، وان كان قد قبل الاشتراك فى مؤتمر عالمى للاحزاب الشيوعية عام ١٩٥٧ ووقع على اعلان التضامن الاشتراكى ، كما انه فى هذا العام اشتركت يوغسلافيا مع غيرها من بلدان اوروبا الشرقية فى عدم الموافقة على اقتراح ادانة التدخل السوفييتى فى المجر ، وما هو اكثر من هذا اعتراف يوغسلافيا فى ١٥ اكتوبر عام ١٩٥٧ بالمانيا الشرقية ، وهى الحكومة التى لم تكن دولة خارج نطاق المعسكر الاشتراكى قد اعترفت بها ، ومن هنا كانت اهمية ودلالة هذه الخطوة حيث ردت بون بقطع علاقاتها السياسية كما انتقد الغرب وخاصة امريكا هذا التطور فى السياسة اليوغسلافية ورد تيتو بدعوته الى حل الحلف الاطلنطى وهاجم الغرب لاتجاهه السلبى ازاء موسكو ، وحين هددت واشنطون باعادة النظر فى مساعدتها لبلجراد رد تيتو بقوله انه اذا كانت هذه المساعدة تعنى اذلال يوغسلافيا فانه من المستحسن قطعها .

فى هذه الظروف بدت وكأن الجسور بين يوغسلافيا والغرب تنقطع ، وشعرت موسكو

انها يمكن أن تجذب تيتو بشكل اكثر الى المعسكر الاشتراكى ، فقد بعثت موسكو الى بلجراد بمشروع قرار عن الوحده الشيوعيه كان سيعرض على احتفال سيقام فى موسكو بمناسبة مرور ٤٠ عاما على انشاء الحزب الشيوعى الروسى ، وقد بنى هذا المشروع على اساس مواقف ومفاهيم موسكو للحرب البارده الذى يذهب الى تقسيم العالم الى معسكرين متناقضين تقف الولايات المتحدة فى احدهما (كمركز للرجعية العالمية " وعن الاختلافات القوميه يقول المشروع انها ضرورية ولكن المبالغه فيها "والبعد عن الحقائق الماركسيه ، تحت ستار الخصائص القوميه ، هى شىء مضر " كما أشاد مشروع القرار بدور الاتحاد السوفييتى داخل البروليتاريا الدوليه .

وقد رفض تيتو توقيع هذا المشروع ، بل اعتذر بالمرض عن حضور هذا الاحتفال .
واثبت هذا الحدث للسوفييت انهما قدم تيتو من تنازلات من أجل التضامن الاشتراكى — كاعترافه بالمانيا الشرقية — الا ان ثمه حدا لن يذهب تيتو أبعد منه .

وفى المؤتمر السابع لرابطة الشيوعيين اليوغسلاف خرج بيان المؤتمر يحمل مبادىء تيتو ويؤكدها ويجلو عنها بعض الغموض الذى كان قد علق بها خلال فترة التقارب مع السوفييت فقد ادان البيان الاحلاف العسكرية واعتبرت عدوانيه فى جوهرها ، فحلف وارسو ليس أقل من حلف الناتو فى هذا الشأن ، كما استنكر تقسيم العالم الى كتلتين اشتراكية ورأسمالية ، كما تضمن البيان كلما تحاده عن العناصر الستالينية فى الاتحاد السوفييتى .

واذا كان هذا البيان انتقد داخل الاتحاد السوفييتى ، الا ان النقد الرئيسى فى نطاق الكتلة الاشتراكية قد جاء من جانب الصين الشعبية والتى وصفت البرنامج بانه " معادى للماركسية اللينينية وتحريفى " بل ذهبت الى وصف قرار الكومنفورم عام ١٩٤٨ بانه سليم وما ثلت بين اليوغسلاف والرجعيين فى كل البلاد ، ودعت الى النقد العنيف والمفتوح لآرائهم وقد نشرت الصحافه السوفييتية آراء الصينيين ، كما وصف خروشوف يوغسلافيا فى صوفيا بانها "حصان طرواده " بل وأنكر ان تكون يوغسلافيا دولة اشتراكية حقا " وان الاشتراكيـة لاتبنى على القمح الأمريكـى " .

٪

وقد هاجم الصينيين ووصفهم بانهم محبو الحرب وانهم ينتقدون اليوغسلاف لانهم يعارضون سياستها السلميه وانهم يريدون صرف الانظار عن مشاكلهم الداخلية ، ورغم هذا كله فقد اعلن تيتو "ان يوغسلافيا ستعرف كيف تظل رافعة علم ماركس وانجلز ولينين كما رفعته بشرف خلال العواصف والهجمات من كل الجبهات .

وقد اكتملت عزلة يوغسلافيا عن العالم الشيوعى حين اشتركت حتى بولندا وجومولكا فى التعرض " للاتجاه السلبى لرابطة الشيوعيين اليوغسلاف والتى تفصل يوغسلافيا عن مجموعة الدول الاشتراكية " وقد هاجم بيان الاحزاب الشيوعية عام ١٩٦٠ والذى ضم ٨١ حزبا سياسة يوغسلافيا الداخلية والخارجية .

فى هذه الظروف عادت العلاقات تتحسن من جديد بين يوغسلافيا والغرب فبعد هذا التوتر الجديد مع المعسكر الاشتراكى راح سفير يوغسلافيا فى واشنطون يردد عبارات الصداقة تجاه الولايات المتحدة ويعلن عن عزم يوغسلافيا على ان تحتفظ بروابط الصداقة مع كافة اقطار العالم . والواقع ان تحسن العلاقات مع الغرب لم يكن بالامر الصعب ، وذلك انه حتى خلال فترات التحسن فى العلاقات مع روسيا كان تيتو يحرص على بقاء جسور تربطه بالغرب ، وفى عام ١٩٥٨ طلبت يوغسلافيا ٨٠ مليون دولار من الولايات المتحدة وبريطانيا ووافقت امريكا على مبلغ اكبر من هذا وعلى كثير من وجوه المساعدات التى كانت قد توقفت .

غير انه رغم هذا التوتر فى علاقات يوغسلافيا بالاتحاد السوفييتى عقب المؤتمر السابع للحزب الشيوعى اليوغسلافى الا انه لا يمكن ان يشبه على أى مستوى الصدام الذى حدث خلال عهد ستالين ، فمهما حدث من توترات بين الجانبين فهى توترات جانبيه وعارضه فان يوغسلافيا مقتنعه بان الاتحاد السوفييتى لا يمكن ان يعود الى الاساليب الستالينيه وان جوهر السياسة السوفييتية هى الرغبة فى السلام بل أن التقدير اليوغسلافى يذهب الى ان الولايات المتحدة وليس الاتحاد السوفييتى هو المسئول عن عدم الوصول الى اتفاق بين الشرق والغرب ، كما وان تيتو لم يفقد اعتقاده فى التضامن الاشتراكى وهذا ما ثبت حين هادت

موسكو تلوح من جديد بغصن الزيتون فاستجاب لها ،غير انها استجاب وارادته فى الاستقلال كانت فى تزايد وأقوى من ذى قبل ،ولذلك دخلت يوغسلافيا مرحلة علاقاتها الجديده مع الاتحاد السوفيتى وخاصة بعد عام ١٩٦٠ وهى تقف على أرض صلبه وخلفها تراث من المعارك التى خاضتها لتثبيت مبادئها .

وقد تميزت هذه المرحلة الجديده فى علاقات يوغسلافيا بالشرق والغرب بان حاولت ان تركز استقلالها على الوسط اكثر منه على الشرق او الغرب ،وقد نشأ هذا من القلق الذى بدأ يبدو لدى تيتو من ان يسقط يوما بين بين وأن يصرف النظر عنه من كلا المعسكرين وقد صرح تيتو يوما ان هذا يمكن ان يحدث ،ورغم انه كان من انصار مؤتمرات القمه فانه قد استشعر الخطر من أن اتفاقا قد يتم بين الاقطاب الكبار على حساب الشعوب الصغيرة كما بدأ يعرب عن قلقه على مصير " هذه الشعوب والدول التى ليست منضمويه فى أحلاف " ومن هنا كانت دعوته ان يكون التعايش السلمى بين بلدان وليس بين معسكرات .

وربما كان هذا هو مفتاح الاتجاه الجارف للسياسة اليوغسلافية تجاه تجميع البلدان "الغير منحازه" ودعواها المتحمسه لهذا الاتجاه وخاصة بين دول آسيا وافريقيا ، فخلال اجتماع الامم المتحدة عام ١٩٦٠ كان تيتو هو الذى بادر شخصيا الى جمع قادة هذه البلدان سريا لكى يصدرا سويا مقترحات "القوة الثالثه" كما كان من القوى الرئيسية المنظمه والداعيه الى المؤتمر الاول لدول عدم الانحياز الذى عقد فى بلجراد عام ١٩٦١ ،وغيره من المؤتمرات التى تبلورت فيها فلسفة وعقيدة عدم الانحياز واكتسبت نفوذها وتأثيرها المعنوى على العلاقات الدوليـة غير ان الازمة التشيكوسلوفاكية والتدخل العسكرى السوفييتى فى تشيكوسلوفاكيا جاءت لتميز فترة من فترات التوتر مع الاتحاد السوفييتى . فقد اعتبرت يوغوسلافيا التجربة التشيكية امتدادا للنموذج اليوغوسلافى الذى قدمته فى الوقت الذى كانت الاقطار الاشتراكية فيه تخضع لقبضة ستالين القوية . ولذلك كان موقفها من عناصر التجربة التشيكية عند بدايتها متوافقا مع المبدأ اليوغوسلافى فى حق كل بلد اشتراكى فى اختيار التطبيقات الاشتراكية الملائمة لاوضاعه الخاصة .

وقد صرح الرئيس تيتو بعد التدخل العسكرى بان " دخول وحدات عسكرية اجنبيـــه بدون دعوة او موافقة الحكومة آثار لدينا شعورا بالغا بالقلق " كما صرح سبيلاك رئيس الوزراء امام البرلمان اليوغوسلافى " لقد كنا نعتقد انه قد فات الزمن الذى كانت فيه المعتقدات الايدلوجية تتخذ ستارا لتبرير التدخل فى الشئون الداخلية لدولة مستقلة ذات سيادة ولكن المخـــاوف التى اثارتها التطورات الاخيرة تزعم الحكومة اليوغوسلافية على الدفاع عن سيادتهـا " .

وقد اثار هذا التصريح ان لدى اليوغوسلاف تخوف من احتمال تدخل سوفييتى مماثـــل ضدهم كما اشيع عن تعبئة القوات اليوغوسلافية وأن يوغوسلافيا قد طلبت مساعده من حلـــف الاطلنطـــى .

غير ان تيتو عمد الى عدم استثارة السوفييت تنفى انه طلب مساعدات من حلف الاطلنطـــى بل ذهب الى التحذير من المبالغة فى ابراز خطوره الاثار الدولية التى ترتبت على التدخـــل فى تشيكوسلوفاكيـا .

غير ان [illegible] التوتر ظلت سائده فى علاقات البلدين وانعكست فى عدم حضـــور الحزب الشيوعى السوفييتى المؤتمر العاشر لرابطة الشيوعيه اليوغوسلاف الذى انعقـــد فى مارس عام ١٩٦٩ وفى عدم حضور يوغوسلافيـا مؤتمر الاحزاب الشيوعية الــذى انعقـــد فى موسكـــو فى يونيـــو ١٩٦٩ .

"ح"

ثالثا :

١ — تطور العلاقة بين رومانيا والاتحاد السوفييتى :

انتهجت رومانيا فى بدايات الحرب الاولى أسلوب الحياد ، واكتها من أجل المناطق المتنازع عليها مع المجر والنمسا وروسيا ، وضمان الحلفاء لها هذه المناطق دخلت رومانيا الحرب الى جانب الحلفاء ، وانتهت معاهدة تريانون بالفعل الى اعادة هذه المناطق اليها •

وعلينا أن نشير فى هذه الفترة المبكرة من تاريخ رومانيا الحديث الى الجانب الاجتماعى فيه ، فمنذ قيام الدولة الرومانية وحكامها يحاولون الاستجابة الى الحركات الاجتماعية وخاصة من جانب طبقة الفلاحين من أجل الارض ولذلك سنجد برامج للاصلاح الزراعى يعلنها الحكام الاول لهذه الدولة الا أنها لم تكن تستجيب لمطالب الفلاحين لذلك سنجد ثورة معروفة فى التاريخ الرومانى بثورة الفلاحين عام ١٩٠٧ ، هذا بالاضافة الى حركات عمالية أخرى ، لذلك نستطيع أن نقرر أن تاريخ رومانيا الاجتماعى قد تميز بعدم الاستقرار وهو السبب الذى دفع الحكام الى اتخاذ سياسة القوة وتحريم قيام أحزاب شيوعية •

وعند بداية الحرب الاولى أبرم ملك رومانيا معاهدة تحالف مع المانيا ، وفى هذه الفترة بدأت الحركة الوطنية فى رومانيا تتخذ شكلا وتحولا جديدا حيث شكل الحزب الشيوعى الرومانى جبهة مشتركة مع الحزب الديمقراطى الاشتراكى لمواجهة هذا التحالف • وعلينا أن نتوقف عند هذه الفترة وعند تاريخ الحزب الشيوعى الرومانى بالذات ، لانه بقدر هذا التاريخ وبقدر مشاركته فى العمل الوطنى والحركة الوطنية بقدر ما سيكون شعوره بذاتيته وشخصيته المستقلة فيما بعد •

فقد أشرنا من قبل الى أن الاوضاع فى رومانيا قد تميزت منذ قيامها كدولة بالقلقلة الاجتماعية وعدم الاستقرار الاقتصادى ومطالبة الفلاحين بالاصلاح الزراعى

لذلك فليس غريبا أن ترجع نشأة الحزب الشيوعى الرومانى الى عام ١٨٩٢ وقد عرف أول ما أنشىء بالحزب الاشتراكى لعمال رومانيا والذى أخذ يثير الحركات الاجتماعية بتحريكه المظاهرات والاضطرابات ، وقد تحول أسم الحزب الى الحزب الشيوعى عام ١٩٢١ وظل يعمل فى الخفاء من ١٩٢٤ ــ ١٩٤٤ ، كما تركز عمل الحزب طوال هذه الفترة بين طبقة العمال وشكل خاص عمال السكك الحديدية لطابعهم التنظيمى وكان عام ١٩٣٢ من الاعوام البارزة فى تاريخ الحزب حيث نظم شبه ثورة من صفوف العمال وحكم على زعيمه جورج جورجيو ديج بالسجن ١٢ عاما • وقد تمكن هذا الزعيم من الهرب حيث نظم شبه ثورة مسلحة ضد الحكومة القائمة المتحالفة مع النازية وأضطر الملك الى مجاراة هذه الثورة وعزل الحكومة القائمة والانضمام الى الحلفاء ، وعند دخول القوات السوفييتية الى رومانيا عام ١٩٤٥ أشترك الحزب اشتراكا فعالا فى تحرير رومانيا • وقد كانت التنظيمات الحزبية الموجودة فى رومانيا الى جانب الحزب الشيوعى هى حزبين يمثلان طبقة الملاك ، هما حزب التحرير الوطنى ، وحزب الأحرار ، وقد سقط هذين الحزبين وصفيا فى الفترة التى تلت التحرير مباشرة ، ثم كان هناك الحزب الاشتراكى الديمقراطى وهو وان كان ذا برامج اشتراكية الا أنه لم يكن ماركسيا ، ومع هذا الحزب دخل الحزب الشيوعى فى جبهة مشتركة وألفا حكومة تمكنت من أن تصفى بقايا الاقطاع وأن تلغى الملكية وتعلن الجمهورية عام ١٩٤٧ ، غير أنه ما لبث الجناح اليسارى فى الحزب الاشتراكى الديمقراطى أن صفى الجناح اليمينى فى الحزب واندمج مع الحزب الشيوعى فى حزب واحد عرف باسم حزب العمال الرومانى ، وقد اعلن الحزب دستور النظام عام ١٩٤٨ وجاء دستورا على النمط السوفييتى حيث أمم جميع وسائل الانتاج الصناعى وان كانت الملكية الفردية قد ظلت فى القطاع الزراعى حتى عام ١٩٥٢ حين صفيت هذه الملكية •

وقد ظلت علاقة رومانيا بالاتحاد السوفييتى منذ عام ١٩٤٨ ــ ١٩٦٢ تتخذ نفس الشكل التقليدى فى علاقات دول أوروبا الشرقية مع الاتحاد السوفييتى ، غير أنه

منذ عام ١٩٦٢ بدأت الغيوم تشوب علاقات رومانيا بالاتحاد السوفيتي ، وكان اتجاه رومانيا ازاء مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة هو الاساس الذى صدرت عنه وتفرعت بذور الخلاف وامتدت الى مواقف أخرى حتى أصبحت طابع السياسة الرومانية •

فقد ظهر اتجاه للاتحاد السوفييتى فى المجلس يهدف الى تطبيق سياسة تقسيم العمل من اعضائه والى تكامل اقتصادياته بحيث تتخصص كل دولة من دول السوق فى القطاعات الانتاجية التى تؤهلها لها تقاليدها الصناعية وامكانياتها الفنية • ومقتضى هذا الاتجاه كانت رومانيا سيصيبها نصيب ضئيل من سياسة التصنيع وتظل فى الاغلب دولة زراعية وان قامت فيها صناعات فهى لا تتعدى الصناعات الخفيفة والاستهلاكية • وعلى أساس هذا المفهوم وقفت رومانيا ضد هذا الاتجاه منذ البداية وظل هو موقفها تجاه كل السياسات المشابهة حتى تبلور موقفها من الكوميكون فى اعتبار أنه مجرد منظمة لتنسيق التعاون الاقتصادى والعلمى والفنى من بلدانه ، وان هذا التعاون يجب أن يقوم على أساس اتفاقيات ثنائية وتبرز رومانيا فى هذا الشأن المشروع المشترك مع يوغوسلافيا لاستغلال مياه الدانوب وهو ما يعرف بمشروع البوابة الحديدية ، كما تعتبر رومانيا أن تعاونها فى نطاق الكوميكون يجب أن لا يكون حائلا دون التعاون مع البلدان والمنظمات الاقتصادية الاخرى وهو ما أخذ الاتجاه الى التطبيق وانعكس بالفعل فى معدلات التجارة بين رومانيا ودول السوق المشتركة حيث بلغت ١٧٪ من تجارة رومانيا الخارجية فى الوقت الذى بدأت تجارتها مع دول الكوميكون تأخذ اتجاها هبوطيا •

ويقدر البعض أنه خلف موقف رومانيا من الكوميكون يقف تصورها للامكانيات والمواد التى تتمتع بها والتى تصلح لانماء الصناعة بما فيها الصناعات الثقيلة وصناعة الآلات ورؤيتها لبلدان أقل منها امكانيات وموارد تحتل فى الصناعة مركزا أبعد منها ، ورومانيا هى من أكبر خمس دول فى أوروبا انتاجا للاخشاب ، ولها ماضى تقليدى عريق فى عمليات البترول ، ثم وفرة انتاجها الزراعى وتنوعه وكذا انتاجها الحيوانى ثم مواردها

المائية واشراف جزء منها على البحر الأسود والتى يجعلها دولة غير مغلقة يسهل عليها امكانيات التصدير ، والى جانب هذا كله ثروة معدنية متعددة تتمثل فى الذهب والحديد والقصدير والنحاس والزنك والفحم ، كما يرى هؤلاء أن من العوامل المشجعة لرومانيا على هذا الاتجاه النجاح الذى رأته يتحقق - رغم تواضع الجهد المبذول - فى الخطة الخمسية ٦٠ - ١٩٦٥ حيث رفعت هذه الخطة الانتاج الصناعى وزادت نصيبه فى الانتاج القومى من ٢٦% عام ١٩٥٠ الى ٤٨% عام ١٩٦٥ . كما يضيفون الى جانب عناصر القوة التى يروها فى الموقف الاقتصادي الروماني تضمينات سياسية يحتويها هذا الموقف ، فقد أعتبر الرومانيون أن السياسة التى يريدها السوفييت للكوميكون تجعل منه دوله داخل دولة وتجعل من أجهزته العليا مشرفة على خطتها الوطنية والتى هى أبلغ دليل على استقلالها وسيادتها .

غير أن بعضا آخر فى تفسيره لموقف رومانيا الاستقلالى تجاه الكوميكون لا يرى هذه العناصر كافية لتفسير هذا الموقف ، فهم يعتقدون أنه رغم تعدد جوانب الثروة فى رومانيا الا أنها تبدو متواضعة أمام المشروعات والخطط الطموحة التى تضعها رومانيا بتطوير اقتصادياتها وبشكل خاص الصناعات الثقيلة ، حيث تجد رومانيا نفسها مضطرة لان تستورد كميات كبيرة من الحديد لتطور صناعة الصلب فيها ، وقد أمدها الاتحاد السوفييتى عام ١٩٦١ - ١٩٦٥ ب ٧ ملايين طن كما أمدها بكميات كبيرة من الفحم ، ورومانيا بهذا المقياس أبعد ما تكون عن الاستكفاء الذاتى وقد كانت وستظل من أكثر البلدان اعتمادا على المصادر الخارجية وقد بلغ نصيب الاتحاد السوفييتى من تجارتها الخارجية ٤١% وهى نسبة لا تعلوها الا تجارة روسيا مع المجر والمانيا الشرقية ، وبالنسبة للغرب فان علاقاتها به ليست من القوة بحيث تمثل تأثيرا على مواجهتها للاتحاد السوفييتى وليس للسلع الرومانية ما يجد مجالا فى السوق الغربى سوى منتجاتها الزراعية ، أما منتجاتها المصنوعة فليس لها سوق فى الغرب كما لها فى الشرق فضلا عن أن الغرب ليس فى حاجة شديدة الى بترولها والخلاصة أن موقف رومانيا عند هذا التفسير هو أقرب

الى الضعف منه الى القوة وأنها لا تملك من المزايا الموضوعية ما يميزها عن بقية بلدان شرق أوروبا وان كل ما أتيح لها هو ارادة النظام فيها والمناسبة التى أتيح له فيها التعبير عن هذه الارادة .

واذا كانت بوادر التوتر بين الاتحاد السوفييتى ورومانيا قد بدأت منذ عام ١٩٦٢ فان اتجاه رومانيا ظل يأخذ طابعا تحفظيا وهادئا اتسم بالبعد عن التطرف ، وقد استمر هذا التوتر يأخذ شكلا صامتا حتى كان البيان الذى أذاعه الحزب الرومانى فى سبتمبر عام ١٩٦٤ ، وقد اتسم هذا البيان بالحسم والصراحه فى تحديد موقف رومانيا من الكوميكون ورفضها اشراف سلطة أعلى على اقتصادياتها ، كما هاجم البيان أسلوب سلطة حزب واحد على بقية الاحزاب وادارة الحركة شيوعية من مركز واحد .

وبعد هذا البيان بدأت سياسة الرومانية تتسم بالمرونه والنشاط المتعدد الجوانب والجبهات والمبادرة وخاصة أنه مع هذه الفترة توفى جورج جورجيو ديج وهو أب الحركة الشيوعية فى رومانيا وممثل اتجاهها الاخير وارادت القيادة الجديدة أن تثبت ذاتهـا وقدرتها على ملء الفراغ الذى خلفه الزعيم الراحل ، وقد تكونت القيادة الجديدة من ثالوث متكامل : " نيكولاى تشاوشيسكو " والذى رغم أنه فى الاربعينات قد تقلد مناصب عدة فى الحزب وكان التالى لجورج ديج وخليفته بلا منازع ، أما رئاسة الدولة فقـد تقلدها أحد العناصر القديمة وهو " ستويكا " ـ الذى استقال بعد ذلك وجمع تشاشيسكو بعد رئاسة الحزب ورئاسة الدولة ، وتولى رئاسة الوزارة جورج مورو وهو اليد القديـرة ذات الخبرة والذى يقال أنه هو الذى صمم لجورج ديج خطوط وعناصر السياسة الخارجية الرومانية .

وفى عهـد القيادة الجديدة وقع حدثين هامين :

١ ـ انعقاد المؤتمر التاسع للحزب فى يوليو ١٩٦٥ ، وتأتى أهمية هذا المؤتمر من انه اعتبر مظاهرة سياسية أكدت الطابع الجديد لسياسة رومانيا ، وحدث توسع فى مفهوم الطبقة العاملة حيث احتوى فئات أخرى غير العمال والفلاحين كما ظهر الاتجاه الى احتضان المثقفين واضحا والى تعزيز الحزب بهم ، كما بدا فيه اصرار السياسة الرومانيـة

على سياسة التصنيع وخاصة الصناعات الثقيلة وبناء الالات •

٢ — أما الحدث الثانى فهو صدور الدستور الجديد — أغسطس ١٩٦٥ — والذى كان لا بد أن يصدر لكى يعكس التطورات التي وقعت فقد :—

أ — تغيير اسم الدولة من جمهورية رومانيا الشعبية الى جمهورية اشتراكية •

ب — حذف من الدستور الفقرة التى كانت تنص على مؤازرة الجيش السوفييتى فـــى تحرير رومانيا

قلنا أن موقف رومانيا من الكوميكون كان هو المناسبة التى صدر عنها بذور موقف رومانيا الاستقلالى والتى تفرعت منه الى عدة جوانب أخرى من السياسة الخارجية لرومانيا فى علاقاتها بالاتحاد السوفييتى ، وسوف نعرض بشئ من التفصيل لاشكال العلاقات التى برزت فيهـا مواقف رومانيـا المتحيزة والتى تتحدد فى :

أ — موقف رومانيا من حلف وارســو

ب — موقف رومانيا من العلاقات داخل الحركة الشيوعية الدولية

جـ — موقف رومانيا من قوى أوروبية مثل فرنسا والمانيا الغربية

د — موقف رومانيا من مشكلة الشرق الأوسط

أ — موقف رومانيا من حلف وارســو :

بدأ موقف رومانيا من حلف وارسو يتحدد بخطاب ألقاه سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الرومانى عام ١٩٦٥ هاجم فيه بشكل عام التكتلات العسكرية وقال انها تساهم في زيادة التوتر الدولى وتحول دون تفاهم الشعوب ثم ذهب الى أن وجود قوات عسكرية على أراضى دولة أخرى يهدد سيادتها واستقلالها ، وان كان قد أكد فى نفس الخطاب أن رومانيا ستظل مرتبطة بحلف وارسو ما دام حلف الاطلنطى قائما •

والواقع أنه امتداد لسياسة رومانيا الخارجية فهى تتطلع الى تحقيق نظـــام

للامن الاوروبى تستطيع فى ظاله أن تتحرر من الارتباط بحلف وارسو ولذلك نجدها دائما تركز على المادة ١١ من الحلف التى تربط بين بقائه وبين قيام نظام للأمن فى أوروبا .

غير أنه الى جانب هذا الموقف العام من الحلف ، تطورت نظرة رومانيا الى الحلف بحيث أصبحت ترى خطوطا أساسية تحدد هذا الارتباط ، من هذه الخطوط أنه يجب أن تقوم قيادة سياسية عليا تعلو القيادة العسكرية القائمة والتى لا يتحقق فيها التوازن ، وكذا عدم تحمل أعباء مالية وقت السلم ، ومعارضة وجود قوات عسكرية على اراضى دولة أخرى .

ويفسر بعض المحللين العناصر التى دفعت رومانيا الى تحديد هذه الخطوط وسياستها تجاه حلف وارسو بالاتى :

أ — ان رومانيا لا تشعر بأى تهديد خارجى وليس لها حدود متنازع عليها كما هو الحال مع بولندا وتشيكوسلوفاكيا مع المانيا الغربية ، وقد تعرضت رومانيا فى أحد اجتماعات الحلف لهجوم من جانب وفود بولندا وتشيكوسلوفاكيا والمانيا الشرقية حيث بدا لهم أن رومانيا تعتبر ان المانيا الغربية لا تمثل خطرا جديا يستدعى دعم الحلف .

ب — ان رومانيا خططت علاقاتها مع جميع الدول على أساس من الصداقة القائمة على خدمة المصالح الوطنية .

وقد أعلن تشاوشيسكو فى خطاب له فى ١٩ يناير عام ١٩٦٧ ، أن كل دولة عضو فى حلف وارسو يجب أن يكون لها قيادتها العسكرية العليا ، وفى نفس التصريح اعلن أن رومانيا سوف تستمر فى تعاونها مع الحلف ، و "لكن وفقا لشروطها الخاصة " ، وهى الشروط التى ستقدم و " وفقا للمبادئ التى تحكم العلاقات بين البلدان الاشتراكية .. " .

وقد صدم تصريح تشاوشيسكو المراقبين واعتبروه تحديا للقيادة العسكرية السوفييتية كما أعتبر هذا الاجراء — اذا تم — القاء للشك على وحدة الحلف وعلى فعاليته باعتباره قوة ضاربة •

وفى زيارة لمورو رئيس وزراء رومانيا لهولندا فى يوليو عام ١٩٦٧ أعلن أن كل دولة يجب أن تكون " سيدة بيتها " وأن أوروبا يمكن أن تكون أكثر أمانا اذا ما تفكك كل من حلف وارسو والاطلنطى ، غير أنه فى نفس البيان قرر أن رومانيا لا تزال تعتبر نفسها عضوا فى الكتله السوفييتية رغم الخلافات حول بعض المشكلات الدولية •

وقد أعقب هذا التصريح اشتراك رومانيا فى التدريبات التى قامت بها قوات مشتركة من الاتحاد السوفييتى وبلغاريا فى الاراضى البلغارية فى أغسطس عام ١٩٦٧ ، وجاء هذا الاشتراك بعد ثلاث سنوات من عدم اشتراك رومانيا فى أية مناورات لدول الحلف ، وقد فسر هذا الاشتراك بدوافع اقتصادية اكثر منها ايديولوجية ، فهى حريصة على أن تظل محتفظة بالحد الادنى من القوات العسكرية حتى تتمكن من السير فى اجراءاتها الاقتصادية وخاصة فى مجال التصنيع وبسرعة غير متناقصة ، ففى عام ١٩٦٦/٦٥ خصصت رومانيا ٨ر١٪ من دخلها القومى للنفقات العسكرية وهى بهذا الشكل تصبح صاحبة أقل ميزانية عسكرية فى أوروبا بعد لاكسمبرج ، بالاضافة الى هذا العامل الاقتصادى فان الرومانيين ارادوا أن يشعروا الروس بأنهم ما زالوا محتفظين بروابطهم مع الكتلة السوفييتية •

موقف رومانيا من الحركة الشيوعية الدولية :

تبلور موقف رومانيا من العلاقات داخل الحركة الشيوعية الدولية فى النقاط التالية :

أ — انها ترفض وصاية حزب على آخر •

ب — ان لكل حزب الحق فى أن يحدد خطة ويضيغ اسلوبه فى العمل وفقا للظروف الموضوعية لمجتمعه •

جـ — ان الماركسية فى هذا ليست الا خطة ودليل العمل فالماركسية ليست مفهوما

جامدا ولا فكرا مطلقا .

د ـ استنكار امكانية قيادة الاحزاب من مركز واحد

وقد انعكس موقف رومانيا هذا على المشكلة الرئيسية داخل الحركة الشيوعية الدولية وتمثلت بها النزاع السوفييتى الصينى ، فقد وقفت رومانيا خلال جميع مراحل النزاع موقفا وسطا بين أطرافه ولم تستجيب لمحاولات الاتحاد السوفييتى لادانة الصين كما لم تستجب لمحاولات الصين اتخاذ رومانيا كمنبر لمهاجمة الاتحاد السوفييتى .

والواقع أن موقف رومانيا من النزاع الصينى السوفييتى لا يتأتى من موافقة رومانيا على سياسات الصين أو على المبادئ التى تتبناها ، فرومانيا أبعد ما تكون عن هذه السياسات ، ولكنها أرادت أن يخدم موقفها من النزاع اتجاهات الاستقلاليه ، فهى حين ترفض الاشتراك فى أى مؤتمر لادانة الصين أو تعلق اشتراكها على عدم ادانتها انما تضع فى اعتبارها أن لا تتقرر سابقة ربما تنطبق عليها فى المستقبل .

وعلى هذا الأساس رفضت رومانيا الاشتراك فى مؤتمر الاحزاب الاشتراكية الاوروبية الذى عقد فى كارلوفى فارى فى تشيكوسلوفاكيا فى ٢٤ أبريل عام ١٩٦٧ ، وقبل انعقاد المؤتمر حددت صحافة الحزب الرومانى موقفها من المؤتمر حين ذكرت " أنه يجب أن يستقر فى ذهننا أننا لا نستطيع أن نتوصل الى الاجماع حول الاهداف وحول سلوكنا تجاه هذه الاهداف " .

وبعد انعقاد المؤتمر كتب تشاشيسكو مقالا ضمنه فكرة عن الحركة الشيوعية الدولية والعلاقات التى يجب أن تتم بين اطرافها فقال " .. ان كل حزب شيوعى له الحق الشرعى فى الاشتراك فى مؤتمر دولى اذا مااعتبره مفيدا وضروريا ، كما أن له مثل هذا الحق فى عدم الاشتراك ، أن تضامن الحركة الشيوعية الدولية لا يعتمد على الاشتراك أو عدم الاشتراك فى مؤتمر .. وأن الحياة قد أظهرت أن التقدم الطبيعى للحركة الشيوعية لا يتلاءم مع وجود مركز دولى لهذه الحركة يقدم معايير اجبارية للسلوك للاحزاب الشيوعية .. وفى مناقشات مع عديد من ممثلى الاحزاب الشقيقة اثير سؤال هام

حول ما اذا كان من حق جماعة من حزب ان تعمل ضد الخط السياسي لحزبها وأن تتصل هذه الجماعة بحزب ثانى لكى تنقل اليه مناقشات الحزب الذى تنتمى اليه ، وكان الرد ان هذا غير مسموح به بأى شكل وأن أى تأييد يعطى لهذه المجموعة يعد تدخلا فى الشئون الداخلية لهذا الحزب وفى مثل هذه الظروف فان كل حزب له الحق فى اتخاذ أى اجراء يراه لكى يؤكد وحدته السياسية والتنظيمية .. "

وكان تشاشيسكو يشير وهو يتحدث عن " هذه المجموعة التى تتصل بحزب آخر .. " الى ما قيل عن تدبير الاتحاد السوفييتى لمحاولة الاطاحة بقيادة الحزب الرومانى الحالية واحلال قيادة أكثر ولاء .

كما أتبع الحزب الرومانى اسلوب التحفظ فى الاشتراك فى مؤتمر الاحزاب الشيوعية الذى انعقد فى موسكو فى ٥ يونيو ١٩٦٩ ، وعلقت اشتراكها فى هذا المؤتمر على عدم التوخى للصين أو ادانة موقفها .

موقف رومانيا من أزمة الشرق الأوسط :

يبدو أن القيادة الرومانية قد رأت فى أزمة الشرق الأوسط والتى وقف فيها جميع اعضاء الكتلة الاشتراكية الى جانب البلدان العربية ، رأت فى هذه الازمة مناسبة أخرى يتمايز فيها موقفها عن بقية أعضاء الكتلة الاشتراكية الامر الذى يؤكد الطابع الاستقلالى الذى تريده لسياستها .

فقد كانت رومانيا هى الدولة الوحيدة بين بلدان أوروبا الشرقية الاشتراكية التى لم تقطع علاقاتها مع اسرائيل بعد عدوانها على البلدان العربية .

وعندما خطب مورر رئيس وزراء رومانيا فى الأمم المتحدة فى ٢٣ يونيو عام ١٩٦٧ طالب العرب والاسرائيليين " .. أن يسووا خلافاتهم بالمفاوضات المباشرة .. " .

وخطاب شاوشيسكو أمام الجمعية الوطنية الرومانية فى ٢٤ يوليو ١٩٦٧ قـــال " .. أننا نود باخلاص أن نقول لاصدقائنا العرب بأننا لا نفهم ولا نشارك موقف الدوائر

التى تتحدث عن تصفية اسرائيل ونحن لا نريد أن نقدم نصائح لاحد ولكن دروس التاريخ أظهرت أن أى شعب لا يستطيع أن يحقق آماله الوطنية والاجتماعية ضد حق شعب آخر فى الوجود .. " .

وقد تمايز موقف رومانيا خلال المؤتمرات التى عقدتها البلدان الاشتراكية لبحث أزمة الشرق الأوسط للاعراب عن مساندتها للدول العربية .

أ — ففى مؤتمر القمة الذى عقدته الاحزاب الاشتراكية فى موسكو فى ٩ يونيو ١٩٦٧ ، صدر عن المؤتمر بيانا أيد فيه سحب اسرائيل لقواتها الى ما قبل حدود ٥ يونيو ووعد بتأييد البلدان العربية فى الدفاع عن استقلالها الاقليمى وان كانت رومانيا قد حضرت هذا المؤتمر الا أنها لم توقع على البيان .

كما كان للصحافة الرومانية فى هذا الوقت موقف غريب ، حيث كانت تعليقاتها تكاد توحى بادانة العرب وتكرار ان ليس ثمة مشاكل لا يمكن حلها بدون مفاوضات

ب — وفى ١١ يوليو ١٩٦٧ أجتمع فى بودابست رؤساء حكومات المجر ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا والمانيا الشرقية وبلغاريا وبولندا وناقشوا أحداث الشرق الأوسط ولم تحضر رومانيا هذا المؤتمر .

جـ — وفى ٤ سبتمبر عام ١٩٦٧ إجتمع فى بلجراد نواب رؤساء وزارات رومانيا والاتحاد السوفييتى وبولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر والمانيا الشرقية وبلغاريا لمناقشة " المعونة الاقتصادية للبلدان العربية التى عانت من الخسارة فى الحرب الاخيرة مع اسرائيل " وقد صدر فى ٦ سبتمبر بلاغ مشترك يقرر أن المشتركين قرروا الاجتماع بالدول العربية على أسس ثنائية لتوسيع التبادل التجارى ، وجاء بالبلاغ ذكر النضال ضد " الامبريالية والاستعمار الجديد " ولكنه لم يأت ذكر اسرائيل .

وقد قيل أنه فى هذا المؤتمر رفضت رومانيا أن تدين اسرائيل بالعدوان كما قيل أن رومانيا اشترطت لحضور هذا المؤتمر أن لا تثار فيه الا مسائل اقتصادية وان المساعدات التى ستناقش هى المساعدات الاقتصادية وليست العسكرية ، كما قيل

ان رئيس الوفد الرومانى اعترض على عدة عبارات تدين اسرائيل بالعدوان وتصف البلدان العربية بأنها ضحية هذا العدوان ، وأنه أصر على عدم توقيع البيان اذا ما ذكرت هذه العبارات •

<u>رومانيا والمانيا الغربيــــــة :ــ</u>

تعتبر علاقات رومانيا مع المانيا الغربية من المؤشرات الى ارتباط التميز بين بلـدان اوروبا الاشتراكية ، فقد ارتبطت رومانيا مع المانيا الغربية بعلاقات حتى بلغـــــت تبادل التمثيل الدبلوماسى بين البلدين متخطية بذلك كثيرا من الحواجز التى تحول مـــن اقامة مثل هذه العلاقات بين بون وباقى اقطار اوروبا الاشتراكية ،من بين هــــــذه الحواجز ما تشترطه بلدان أوروبا الاشتراكية الاخرى من ان تعلن المانيا الغربية اعترافهـــا بالاوضاع الراهنة فى شرق ووسط اوروبا وهى الاوضاع التى نجمت عن الحرب العالمية الثانيـــة تشير بذلك على وجه الخصوص الى خط الاودنيسر والى وضعية منطقة السوديت التشيكيــــة فضلا عن اعترافها بالكيان المستقل لالمانيا الديموقراطية ،تخطت رومانيا هذه الاعتبــــارات ربما لان ليس بينها وبين المانيا الغربية مشكلات مباشرة كتلك التى لبولندا او تشيكوسلوفاكيـــا او المانيا الديموقراطيـــة ، وربما لان رومانيا لاتتمثل فى المانيا الغربية التهديـــــد والنزعات الانتقامية التى تتصورها بقية اقطار اوروبا الشرقية ثم لانه يتسق مع اتجاهها فى اقامــــة علاقات مع الجميع خدمه لمصالحها الوطنيـــة .

بهذا المقياس توصلت رومانيا مع حكومة بون الى اتفاق فى ١ مايو ١٩٦٦ تعطـــى فيه المكاتب التجارية لكلا البلدين فى الاخرى حق منح تاشيرات المرور وجوازات السفـــر وبهذا الشكل اصبحت رومانيا الدوله الاولى بين اقطار شرق اوروبا التى تقيم علاقــــات شبه قنصليه مع المانيا الغربية بعد أن تبودلت المكاتب التجارية بين البلدين فى عـــام ١٩٦٣ ، وفى ١٧ مايو عام ١٩٦٦ زار وزير التجارة الخارجية الرومانيه بون زيــــاره رسمية حيث اجتمع بالمستشار ايرهارد ،وجيرهارد شرودر وزير الخارجية ، ووزيـــــر الاقتصاد ، وقد اعتبرت هذه الزيارة كخطوه فى طريق اقامة علاقات طبيعية بين البلديـــن وتضحت خلالها الرغبه فى توسيع العلاقات الثقافية والاقتصادية بين البلدين .

/.

وفى ٤ سبتمبر عام ١٩٦٦ زار وزير التجارة الخارجيه فى حكومة بون بوخارست زيارة رسمية وكان بهذا الشكل اول وزير فى حكومة المانيا الغربية يزور احد بلدان شرق اوروبا ، كما كان اول وزير المانى يستقبله رئيس حزب شيوعى . وقد صدر عن هذه الزيارة بيان مشترك وقعه تشاوشسكو سكرتير عام الحزب يقر فيه الطرفان أن المشكلات الاساسية يجب ان تسوى بالطرق السلميه ، كما ان العلاقات التى بدأت بين حكومة بون ورومانيا يجب ان تؤخذ كمثل ، كما وقع الوزير الالمانى بروتوكول جديد للتجاره يرفع حصه رومانيا فى تصدير المنتجات الصناعية والزراعية الى المانيا الغربية ، كما يلغى القيود التى كانت مفروضة على سلع أخرى .

وقد كانت هذه العلاقات تمهيدا طبيعيا لاقامة علاقات دبلوماسية كامله بين البلدين ففى ٣٠ يناير عام ١٩٦٧ زار وزير خارجية رومانيا المانيا الغربية زياره رسميه حيث كان اول وزير لخارجية بلد شرقى يزور المانيا الغربية ، وقد اتفق فى هذه الزياره على اقامة علاقات دبلوماسية كامله ، وبذلك أصبحت رومانيا اول بلد اشتراكى — بعد الاتحاد السوفيتى — يقيم علاقات دبلوماسيه مع حكومة بون — وصدر عن الحكومتين بيان مشترك يعرب عن أن هذه الخطوه ستساعد السلام وتسهم فى التفاهم الاوروبى المشترك وتخفيف حدة التوتر الدولى .

وكان من الطبيعى ان تثير هذه الخطوه ردود فعل بين الاقطار الاشتراكية الاخرى وبشكل خاص فى المانيا الديموقراطيــة التى تخوفت ان تحذو بلدان اخرى فى شرق اوروبا حذو رومانيا خاصة وان رومانيا لم تعلق اقامتها لعلاقات مع بون على اقرار الاخيرة بكيان المانيا الديمقراطية المستقل وتخليها عن الادعاء بتمثيل المانيا جميعها ، لذلك هاجمت صحف المانيا الديموقراطية هذه الخطوة واعتبرتها "مؤسفه" وقد ردت صحافة رومانيا على هذا بنبره أحد حيث هاجمت "محاولات المانيا الشرقية املاء سياسه خارجيه على رومانيا فى علاقاتها مع المانيا الغربيــة" .

%

كما الغى على اثر ذلك وزير خارجية رومانيا زيارته المتوقعه الى المانيا الشرقيـــــة ٠

اما من الناحية الاعم فقد اعتبر اقامه علاقات مع رومانيا نجاحـا لالمانيا الغربيـــــة فى محاولات "النفاذ" الى بلدان شرق اوروبا ، كما نظر اليها كجزء من السيـاســـــه الشامله للولايات المتحدة والغرب فى "اقامة الجسور" مع بلدان اوروبا الشرقيـــــة فى محاولتها جذب هذه الدول الى اشكال من العلاقات اكثر مرونه وانفتاحا على الغـــــرب بشكل يؤثر على الصورة التقليديـة للعلاقات بين الاتحاد السوفييتى وبلدان هـــــذه المنطقـــــة ٠

المراجـــــع :

- Communism in Europe Volume 1.2
Edited by William E. Griffith .

- East Europe in the Post-War would,
By : Hupent Ripka .

- The Soviet Block, Unity and Conflict,
By : Brezesinski .

- Soviet Foreign Policy after stalin,
By : David Dallin .

- Russia under Khrushchchev ,
By : Avraham Brumberg .

- Yugoslafia & the new Communism
By : George W. Hoffman.

دوائر المعـــارف :

- Dead Line Data) Rumania
- Kissings Archive) Yugoslavia

الدوريات والمجـــلات:

- East Europe
- Survey, A Journal of Soviet and East European studies .

اعداد من عام ١٩٦٣ - ١٩٦٦ .